بلاغةُ المتكلم في البيان العربي
" دراسة بلاغية تحليلية "

د. مُحَمَّد أبو العلا أبو العلا الحمزاوي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة جازان – المملكة العربية السعودية

المُلَخَّص

هذا البحث يتجه ليكشف عن جانب من جوانب بلاغتنا العربية وهو جانب المتكلم ، فهو يريد أن يوضح أن البلاغة العربية كما أنها بلاغة للمخاطب فهي أيضاً بلاغة للمتكلم ، ولقد حرص البحث على تأصيل هذا الجانب من خلال نقل كلام البلاغيين حول بلاغة المتكلم في المواضع التي جاءت فيها ، كما اتجه البحث إلى مسائل البلاغة وفنونها ليثبت أن المتكلم في البلاغة العربية قد يهدف من بيانه إلى الحديث عن نفسه وما يدور في صدره ، وليصور حاله بعيداً عن أن يكون هدفه الحديث إلى مخاطب أو سامع ، ولقد استقرأ البحث مسائل البلاغة وفنونها ، واستشهد ببعض الأمثلة والنصوص التي تشهد لهذا الغرض ، مع الحرص على مراعاة الجدة والمعاصرة في اختيار بعض الشواهد .

ولقد قام بتحليل الشواهد المختارة تحليلاً أدبياً استأنس فيه بكلام البلاغيين حول هذه النصوص – إن وجد – كما حرص على توثيق النقول ، ونسبة الأقوال إلى أصحابها ، مع عمل الباحث في اختيار النصوص وتحليلها تحليلاً فنياً يكشف عن بلاغة المتكلم وأسرارها في كل موضع من المواضع .

الكلمات المفتاحية: المتكلم ، البلاغة ، البلاغيون ، الشواهد ، التحليل والتطبيق.

مُقَدِمَةٌ :

الحمد لله ﴿**الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ [العلق : ٤،٥] ، وأصلي وأسلم على أفصح خلقه ، وخاتم رسله مُحَمَّد ﷺ من أوتي جوامع الكلم ، واختصر له الكلام اختصاراً.

وبعـــــــــــد

فإن البلاغة هي وسيلة البيان عما في يدور في خلجات النفس ، ويتردد في حنايا الصدر ، مع دقة في التعبير ، وفصاحة في البيان ، وهذا ما تدور حوله عبارات العلماء في تعريف بلاغة الكلام .فلقد ذكروا أن أصلها في وضع اللغة من الوصول والانتهاء([1]) ، وأنها " من بلغت الغاية إذا انتهيت إليها ، وبلغتها غيري ، فسميت البلاغة لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه"([2]) ، ومن هنا ذكر الرماني في تعريفها من الناحية الفنية والأدبية تعريفاً ماتعاً فقال:" البلاغة: **إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ** "([3]) ، وزاد أبو هلال العسكري هذا التعريف إيضاحاً بقوله :" البلاغة : كل ما تبلغ به المعنى نفس السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك، مع صورة مقبولة ، ومعرض حسن"([4]) .وعرف المتأخرون بلاغة الكلام بأنها :" مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته"([5]) . ولقد ذكروا أيضاً أن البلاغة كما تكون وصفاً للكلام فهي وصف للمتكلم أيضاً، وهي فيه " ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ"([6]) .

ونلحظ من خلال تعريفات العلماء أن من مقاصد البلاغة : تمكين المعنى وإيصاله إلى نفس السامع ليتمكن منها كما تمكن من نفس المتكلم ، **وهذا قد يوهم عند بعض الناس أن البلاغة العربية بلاغة مخاطب، وأنها تتجه إلى السامع فقط ، أو أن هدفها مجرد التأثير في نفس المتلقي**

(١) ابن منظور ، جمال الدين ، لسان العرب ،مادة " بلغ" ٥/٣٤٥-٣٤٧، ط دار المعارف، بدون تاريخ.
(٢) العسكري ، أبو هلال ، كتاب الصناعتين ، صـــ٦ ، ط إحياء الكتب العربية ، عيسى الحلبي، ط أولى (١٣٧١)هـ (١٩٥٢)م.
(٣) الرماني ، أبو الحسن ، النكت في إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن صـــ٧٥ ، ٧٦ ، ط دار المعارف، مصر ، ط ٣ ، تحقيق د. محمد خلف الله ، ود. محمد زغلول سلام.
(٤) كتاب الصناعتين صـــ١٠
(٥) القزويني ، الخطيب ، الإيضاح ، صـــ ٢٠، ط دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١ (١٤٢٤)هـ(٢٠٠٣)م.
(٦) الإيضاح صـــ ٢٠

دون النظر إلى المتكلم(صاحب البيان) . وهذا الفهم فيه جور كبير على حظ المتكلم من البلاغة ، وإهدار لجانب بارز من جوانب بياننا العربي قد أشار إليه العلماء أثناء دراستهم لمسائل البلاغة وفنونها ، وهو (جانب المتكلم) ، **وهذا البحث يأتي ليجلي هذا الجانب في بياننا العربي ، ويبرزه بالشواهد والأدلة التي تؤكد أن البلاغة لم تغفل جانب المتكلم . وسيتجه البحث - إن شاء الله- إلى مسائل البلاغة وفنونها ليبين أن من جوانب البلاغة وفنونها ما يتجه فيه المتكلم إلى نفسه لا إلى مخاطب أو سامع ، بل ليرسم صورة لنفسه ، وما يدور في خلجات صدره لأغراض كثيرة** تختلف باختلاف السياق والمقام ، وسيتدسس البحث إلى هذه الصور النفسية والبلاغية في نفوس أصحابها في بعض المواضع ليجلي هذا الجانب من جوانب بلاغتنا العربية .وكما هو معلوم أن الكلام قطعة من نفس صاحبه ، "واختياره قطعة من عقله"([٧]) ، ولقد سأل معاوية بن أبي سفيان صُحار بن عياش العبدي :"ما هذه البلاغة فيكم؟ فقال: شيء تجيش به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا..."([٨]). ولقد لاحظت أن في بياننا العربي هذا الجانب الذي يعبر فيه الكاتب أو الشاعر عن نفسه لنفسه من باب التحسر أو الندم أو الخوف أو غير ذلك من الأغراض التي تختلف باختلاف السياق والمقام ، ولقد تتبعت هذا الجانب في فنون البلاغة ومسائلها فجاءت هذه الصورة النفسية في كثير من فنونها على نحو ما سيلاحظ من خلال البحث. والبحث هنا لن يستقصي كل الفنون البلاغية ، ولكن سيكتفي بالإشارة إلى بعضها ويترك بعضاً آخر لاجتهاد القارئ .

وبعد فالبحث يتضمن مقدمةً ، وثلاثة فصول ، وخاتمةً ، وفهارس.

فالمقدمة فيها أسباب اختيار البحث ، والجانب الذي سيعالجه . أما عن فصوله فهي على النحو التالي:

الفصل الأول : بلاغة المتكلم من خلال مسائل علم المعاني.

الفصل الثاني : بلاغة المتكلم من خلال مسائل علم البيان.

الفصل الثالث : بلاغة المتكلم من خلال مسائل علم البديع.

أما الخاتمة ففيها نتائج البحث ، وثبت للمصادر والمراجع ، وفهرس للموضوعات .

والله أسأل أن يرزقنا السداد في العمل ، وأن يعفو عما كان في هذه الصفحات من زلة قدم أو طغيان قلم .

والله من وراء القصد

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم

الفصل الأول : بلاغة المتكلم من خلال مسائل علم المعاني

علم المعاني هو من أوسع علوم البلاغة بكثرة مسائله ومباحثه ، بل أصل البلاغة كما هو معلوم ، فعليه تقوم نظرية النظم التي فصلها الإمام عبد القاهر وبسطها في "دلائل الإعجاز" ، وهي صلب البلاغة وأساسها ؛ ولذلك فتعريفه يتفق مع تعريفهم لبلاغة الكلام السابق ، ولقد عرف المتأخرون علم المعاني بأنه:" علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال"([٩]) .

وكما هو معلوم أن مقتضى الحال يختلف باختلاف المقام ، "فمقام التنكير يباين مقام التعريف ، والوصل يختلف عن الفصل ، والإيجاز يختلف عن الإطناب ، وخطاب الذكي يباين خطاب غيره كما ذكر البلاغيون... "([١٠]) " .

وتطبيق الكلام على مقتضى الحال هو الذي يسميه الشيخ عبد القاهر بالنظم ؛حيث يقول: "النظم هو توخي معاني النحو فيما بين الكلام على حسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام..."([١١]). **ومقتضى الحال أمر ليس مقصوراً على المخاطب ، فهو أيضاً يشمل المتكلم** ، فقد يورد المتكلم التأكيد في كلامه ثقة من نفسه ، أو يورد التنكير على سبيل الإنكار أو غير ذلك حسب المقاصد والأغراض التي تختلف بالسياق والمقام . وإذا جئنا إلى الناحية التطبيقية لما أقول فلندخل إلى علم المعاني . فقلد ذكر المتأخرون من البلاغيين أن مباحث علم المعاني ثمانية أبواب : أولها: الإسناد الخبري. الثاني: أحوال المسند إليه. الثالث: أحوال المسند. الرابع: أحوال متعلقات الفعل. الخامس: القصر. السادس: الإنشاء. السابع: الفصل والوصل. الثامن: الإيجاز والإطناب والمساواة.

أغراض الخبر: إذا جئنا إلى الباب الأول وهو الإسناد الخبري نجد من مباحثه : أغراض الخبر ، ولقد ذكروا " أن قصد المخبر بخبره إفادة المخاطب إما نفس الحكم كقولك :" زيد قائم " لمن لا يعلم أنه قائم ، ويسمى هذا فائدة الخبر ، وإما كون المخبر عالماً بالحكم ، كقولك لمن زيد عنده ولا يعلم أنك تعلم: " زيد عندك " ، ويسمى هذا لازم فائدة الخبر"([١٢]). وإلى هنا فالأمر مرتبط بالمخاطب ، والبلاغة فيه سواء أكان الغرض الفائدة أو لازمها أمر يرجع من المتكلم إلى المخاطب.

ولكن مما يهمنا هنا إشارتهم إلى أن الخبر لا ينحصر الغرض فيه في الفائدة ولا لازم الفائدة ، وإنما يشمل أغراض أخرى كثيرة لا تنحصر لأنها تختلف باختلاف سياق الكلام ومقاصده ومقاماته ([١٣]). ومما ذكروه هنا : أن يكون الغرض أمراً راجعاً إلى المتكلم لا إلى المخاطب ، وهو من شواهدنا في البحث هنا ، وسأنقل هنا كلام العلامة سعد الدين التفتازاني لأهميته حيث يقول: " كثيراً ما تورد الجملة الخبرية لأغراض أخرى سوى إفادة الحكم أو لازمه ، كقوله تعالى حكاية عن امرأة عمران ﴿...**قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى...**﴾ [آل

(٧) الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، البيان والتبيين ٧٧/١ ، ط مكتبة الخانجي ، ط سابعة (١٤١٨)هـ(١٩٩٨)م.

(٨) البيان والتبيين ٩٦/١

(٩) الإيضاح ٢٧/١ ، ط مكتبة الآداب ، القاهرة ، (١٩٩٩)م.

(١٠) التفتازاني ، سعد الدين ، المطول ، صـــ ٢٦ باختصار ، ط محرم البوسنوي (١٣١٠)هـ.

(١١) المطول صـــ ٢٧باختصار، وينظر للتفصيل الجرجاني ، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز صـــ٨١ وما بعدها، ط مكتبة الخانجي ، ط ٥ ، القاهرة (١٤٠٤)هـ (١٩٨٤)م، تحقيق الأستاذ / محمود محمد شاكر.

(١٢) الإيضاح صـــ٢٧

(١٣) وفي هذا رد على بعض من يصورون من خلال كتاباتهم أن أغراض الخبر عند البلاغيين ضيقة ، وقد انحسرت في الفائدة ولازمها ولم تتجاوزهما . راجع عيد ، رجاء ، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور ، صـــ٦٦، ط مكتبة المعارف ، الإسكندرية ، ط ثانية.

عمران:٣٦] إظهاراً للتحسر على خيبة رجائها وعكس تقديرها ، والتحزن إلى ربها ؛ لأنها كانت ترجو وتقدر أن تلد ذكراً ، أو قوله تعالى حكاية عن زكريا :﴿ ...**رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ...** ﴾ [مريم:٤] إظهاراً للضعف والتخشع ...وأمثال هذا كثير من أن يحصى، وكفاك شاهداً على ما ذكرت قول الإمام المرزوقي في قوله: **قومي هم قتلوا أميم أخي فإذا رميت يصيبني سهمي** ، هذا الكلام تحزن وتفجع وليس بإخبار..."([١٤]). وهنا لنا وقفة حيث نلحظ أن الغرض من الخبر في الآية الأولى إنما هو "التحسر" على خيبة الرجاء ، وهو أمر هنا نلمح فيه حديث المتكلم عن نفسه ، وما يدور في خلجات صدره ، ولا ننسَ أن هناك قراءة في الآية ﴿**وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ**﴾ بضم التاء ([١٥])فيكون من جملة كلامها ، ويكون متصلاً بما قبله ، "وفيه معنى التسليم لله ، والخضوع والتنزيه له أن يخفى عليه شيء، وقرأ الجمهور﴿ **وَضَعَتْ**﴾ بسكون التاء فيكون من كلام الله سبحانه على جهة التعظيم لما وضعته ، والتفخيم لشأنه ، والتجليل لها حيث وقع منها موقع التحسر والتحزن ، مع أن هذه الأنثى التي وضعتها سيجعلها الله وابنها آية للعالمين ، وعبرة للمعتبرين ، ويختصها بما لم يختص به أحداً"([١٦]). وهذا الضرب السابق دقيق المسلك ، ويحتاج إلى تأمل وتجرد لنفصل بين ما هو من قبيل إخبار المتكلم عن نفسه ، وما هو من قبيل إخباره للمخاطب .ونحن هنا نلتمس أصلاً مهماً وهو إخبار المتكلم وحديثه عن نفسه ، ولقد بين الإمام عبد القاهر هذا الموضع بياناً شافياً وهو بصدد الحديث عن مجئ "إنَّ" لتأكيد الخبر ، مستشهداً بالآية السابقة ، وأنقل كلامه هنا لنلحظ إشارات علمائنا إلى هذه الناحية الدقيقة في الخبر ، والتي تخص المتكلم دون المخاطب . يقول الشيخ وهو بصدد الحديث عن دخول "إنَّ" في الخبر ، وما وراء ذلك من أغراض بلاغية:" واعلم أنها قد تدخل للدلالة على أن الظن قد كان منك أيها المتكلم في الذي كان أنه لا يكون . وذلك قولك للشيء، وهو بمرأى ومسمع من المخاطب :" إنه كان من الأمر ما ترى ، وكان مني إلى فلان إحسان ومعروف ، ثم إنه جعل جزائي ما رأيت " فتجعلك كأنك ترد على نفسك ظنك الذي ظننت ، وتبين الخطأ الذي توهمت . وعلى ذلك والله أعلم ، قوله تعالى حكاية عن أم مريم رضي الله عنها: ﴿...**قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ...**﴾ [آل عمران:٣٦]، وكذلك قوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام :﴿ **قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ**﴾ [الشعراء:١١٧]..."([١٧]). إن حديث الشيخ هنا عن المتكلم وظنه ، ومجيء الأمر على خلاف ظنه ، فهو يرد على نفسه ظنه ، وخطأه الذي توهمه ، ولقد استدل الشيخ بالآية السابقة حكاية عن أم مريم (رضي الله عنها) ، كما استدل أيضاً بآية سورة الشعراء حكاية عن نوح عليه السلام . وآية سورة آل عمران سبق الحديث عن الغرض منها وأن الغرض منها هو التحزن والتحسر على ما فوات ما كانت تأمل ، وكلام الشيخ هنا حول الغرض لا يخرج عما ذكره البلاغيون ، كما أن حديثه عن الغرض في آية سورة الشعراء أيضاً مما تابعه عليه المفسرون من البلاغيين – وإن اختلفت عبارات بعضهم – فقال صاحب الكشاف :" ليس هذا إخبار بالتكذيب لعلمه أن عالم الغيب والشهادة أعلم ، ولكنه أراد أني لا أدعوك عليهم لما غاظوني وآذوني ، وإنما أدعوك لأجلك ولأجل دينك ، ولأنهم كذبوني في وحيك ورسالتك"([١٨]) . وهو ما ذهب إليه أيضاً محي الدين شيخ زاده ، والقونوي ، وعبارتهما متقاربة يقول القونوي : " لا إشكال بأنه ليس فيه فائدة الخبر ولا لازمها ، بل إنشاء يراد به إظهار ما يدعو عليهم لأجله"([١٩]) ، وقال الطاهر بن عاشور :" هو خبر مستعمل في إنشاء التحسر ، واليأس من إقلاعهم عن التكذيب"([٢٠]). فنلحظ أن عبارات المفسرين في بيان الغرض من الآية لا تختلف في مضمونها ومعناها ، وإن اختلفت في صياغتها ومبناها ، فالغرض هنا من الخبر أمر راجع إلى المتكلم يعبر فيه عن حاله ، ومجيء التأكيد بـ"إنَّ" لتصوير ما يدور في خلجات النفس ، وما يشغل عقل وفكر المتكلم . وكم في التأكيد بـ " إنَّ " من أسرار البلاغة التي لا يتفطن إليها إلا من آتاه الله علماً وموهبة في إدراك أسرار البيان ؛ ولذلك قال الشيخ عبد القاهر : " وليس الذي يعرض بسبب هذا الحرف [أي إنَّ] من الدقائق والأمور الخفية بالشيء يدرك بالهوينا..."([٢١]) . ولكي تكتمل معالم الصورة حول نظرة البلاغيين إلى المتكلم من خلال بيانه عما في نفسه ، وما وراء ذلك من أغراض ترجع إليه أنقل هنا عبارة سعد الدين التفتازاني حيث بين أن " فائدة التأكيد بـ " إنَّ " لا تحصر في تأكيد الحكم نفياً للشك أو رداً لإنكار ، ولا يجب في كل كلام مؤكد أن يكون الغرض منه رد إنكار محقق أو مقدر ، وكذلك المجرد عن التأكيد"([٢٢]) . وبعد أن نقل كلام الشيخ عبد القاهر الذي نقلته حول مجيء التأكيد بـ" إنَّ" تحدث عن ترك التأكيد للحكم المنكر فقال :" وقد يترك تأكيد الحكم المنكر لأن نفس المتكلم لا تساعده على تأكيده لكونه غير معتقد له ، أو لأنه لا يروج منه ، ولا

(١٤) المطول صـــ ٤٣ باختصار.
(١٥) " قرأ ابن عامر ، وأبو بكر عن عاصم ، ويعقوب بضم التاء ، على أنها ضمير المتكلمة امرأة عمران ، فتكون الجملة من كلامها المحكي وعليه فاسم الجلالة التفات من الخطاب إلى الغيبة ، فيكون قرينة لفظية على أن الخبر مستعمل في التحسر، وجملة (وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى) خبر مستعمل في التحسر لفوات ما قصدته من أن يكون المولود ذكراً ، فتحرره لخدمة بيت المقدس" ابن عاشور ، محمد الطاهر ، التحرير والتنوير ٢٣٣/٣ باختصار، ط الدار التونسية للنشر ، تونس ، (١٩٨٤)م.
(١٦) عرفة ، عبد العزيز ، من بلاغة النظم العربي ، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ، ٧٦/١ ، ط عالم الكتب ، بيروت ، ط ٢، (١٤٠٥)هـ(١٩٨٤)م.
(١٧) دلائل الإعجاز صـــ٣٢٧ باختصار.
(١٨) الزمخشري ، جار الله محمود ، تفسير الكشاف ٤٠٥/٤ ، ط مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط ١ (١٤١٨)هـ(١٩٩٨)م.
(١٩) شيخ زادة ، محي الدين محمد بن مصلح ، حاشية شيخ زادة على البيضاوي ٣٥١/٦ ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ (١٤١٩)هـ(١٩٩٩)م، تحقيق محمد عبد القادر شاهين ، و القونوي ، عصام الدين محمد بن إسماعيل ، حاشية القونوي على تفسير البيضاوي ٢٨٠/١٤ ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، (١٤٢٢)هـ(٢٠٠١)م تحقيق عبد الله محمود عمر.
(٢٠) التحرير والتنوير ١٦٣/١٩
(٢١) دلائل الإعجاز صـــ٣٢٧
(٢٢) المطول صـ٥٣

يتقبل على لفظ التوكيد ، ويؤكد الحكم المسلم لصدق الرغبة فيه والرواج..."([23]). فكلام سعد الدين التفتازاني يشير من خلاله إلى أن مجيء التأكيد بـ " إن " لا ينحصر في تأكيد الحكم نفياً للشك أو رداً لإنكار ... فقد يكون لغرض من الأغراض التي **ترجع إلى المتكلم لا إلى المخاطب** ، وقد استشهد بعبارة الشيخ عبد القاهر ليؤكد ما ذهب إليه ، وهو حق فلقد تبين أن الغرض من الخبر في المواضع السابقة إنما هو أمر يرجع إلى المتكلم سواء أكان الغرض التحسر أو التحزن ، أو مجيء الأمر على خلاف الظن . وإذا أردنا أمثلة من كتاب الله ﷻ يكون الغرض فيها راجعاً إلى المتكلم ومعبراً عن حاله وما يدور في خلجات نفسه ، وحنايا صدره وجدنا مواضع كثيرة جداً تختلف الأغراض والأسرار فيها باختلاف السياق والمقام ، ولكنها في النهاية ترجع إلى المتكلم وليس المخاطب ، **ونراها بارزة بوضوح في مواضع نداء الأنبياء لله ﷻ ، وإخبارهم عن أحوالهم ، وما يلاقونه من البلاء** ، فهم يخبرون عن أحوالهم لأغراض تختلف باختلاف المقاصد والمقامات، ومن ذلك ما جاء على لسان إبراهيم عليه السلام ([24])، ونوح عليه السلام ([25]) ، وأيوب عليه السلام ([26])، وزكريا عليه السلام ([27]) وغيرهم من الأنبياء. ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر : قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام :﴿ **قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ** ﴾ [يوسف:٣٣] . وفي هذه الآية يقول ابن عاشور :" الإخبار بأن السجن أحب إليه من الاستمتاع بالمرأة مستعمل في إنشاء الرضا بالسجن في مرضاة الله تعالى والتباعد عن محارمه ، إذ لا فائدة في إخبار من يعلم ما في نفسه ، فاسم التفضيل على حقيقته..."([28]) . فنحن هنا أمام غرض يرجع إلى المتكلم لا إلى المخاطب يعبر فيه عن نفسه وحاله ، وفي ذلك يقول صاحب الكشاف :" كانت أحب إليه وآثر عنده ؛ نظراً في حسن الصبر على احتمالها لوجه الله تعالى ، وفي قبح المعصية ، وفي عاقبة كل واحدة منهما ، لا نظراً في مشتهى النفس ومكروهها "([29]). والمواضع في ذلك أكثر من أن تحصر ويضيق المقام عن حصرها ، ومن أراد التوسع فليراجع الآيات التي تضمنت الإخبار عن الرسل ، ودعائهم لله ﷻ وندائهم له ، وليضع كل آية في سياقها ومقامها ، مراعياً المناسبات والمقاصد .

(٢٣) المطول صـــ٥٣باختصار.
(٢٤) ومن هذه المواضع : قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم٣٧]
(٢٥) ومن هذه المواضع : قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾ [الشعراء:١١٧]
(٢٦) ومن هذه المواضع : قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣]
(٢٧) ومن هذه المواضع : قوله تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم:٤]
(٢٨) التحرير والتنوير ٢٦٥/١٢باختصار.
(٢٩) الكشاف٢٨٢/٣

وإذا أردنا أمثلة من الشعر للخبر الذي نحن بصدده ، وما ينطوي عليه من أغراض بلاغية ترجع إلى المتكلم وجدنا أمثلة لا تحصر ، **وأكثر ما تكون في أغراض: الرثاء ، والشكوى من الزمان ، وأحاديث الشعراء عن أنفسهم وآلام الفراق ، والتحسر والحزن ، والفخر ، والاعتداد بالنفس** . وإن شئت فراجع دواوين الشعراء :كالخنساء ، وأبي تمام ، والبحتري ، والمتنبي ، وأبي العلاء المعري ، وغيرهم ، كذلك ديوان الحماسة في باب المراثي والتعازي ، و "المراثي" لأبي العباس مُحَمَّد بن يزيد المبرد ت (٢٨٦) هـ ، وغيرها من كتب المختارات الأدبية . ولنأخذ مثالاً للرثاء ، حيث يقول مُحَمَّد بن عبد الله العتبي يذكر ابناً له مات([30]) :

أُضْحَتْ بِخَدِّيَ لِلدُّمُوعِ رُسُومُ ... أَسَفاً عليكَ وفي الفُؤَادِ كُلُومُ
والصبرُ يُحْمَدُ في المواطنِ كُلِّها ... إلَّا عليــكَ فإنَّــهُ مَــذْمُومُ

فالشاعر هنا يخبر عن حاله ، وما أصابه من الجزع والحزن على فراق ولده ، وكيف أنه لا يطيق الصبر على مصابه ، فالغرض هنا إظهار الجزع والحزن أسفاً على فراق ولده .

ومن الشكوى : قول الغَطَمَّشُ الضَّبِّي ([31]) :

إلى الله أشكو لا إلى الناس أنّني ... أرى الأرضَ تبقى والإخِلَّاءُ تذهبُ
أخِلَّاء لو غيرُ الحِمامِ أصابَكُمْ ... عَتَبْتُ ولكن ما على الموتِ مَعْتَبُ

وحول الغرض من الخبر في هذين البيتين يقول المرزوقي :" صرف شكواه عن الناس إلى الله ﷻ يأساً من معونتهم ، وإشكاءً يحصل من جمعتهم ، ولأن الله تعالى هو الذي أجرى المقادير بما يتألم منه من بقاء الأرض وفناء الأصدقاء ، ثم قال :" أخِلَّاءِ لو غَيْرُ الحِمَامِ أَصابَكُمْ "كأنه أقبل على الذاهبين معتذراً إليهم من استسلامه للحكم الجاري عليهم ، ومن عجز قواه عن نصرتهم فيما أصابهم فقال :لو كان القاصد لكم غير الموت لتسخطت الحال ، ولم يكن مني بها رضا ، ولكن ما على الموت طريق للعتب ، ولا فيه لي رجاء لإعتاب ، ورجوع باعتذار "([32]). وأختم الحديث عن الخبر والأغراض التي ترجع إلى المتكلم منه ، بعبارة للشيخ عبد القاهر الجرجاني حيث يقول :" وجملة الأمر أن الخبر ، وجميع معاني الكلام معانٍ ينشئها الإنسان في نفسه ، ويصرفها في فكره ، ويناجي بها قلبه ، ويراجع فيها عقله ، وتوصف بأنها مقاصد وأغراض ، وأعظمها شأناً الخبر ، فهو الذي يتصور بالصور الكثيرة ، وتقع فيه الصناعات العجيبة ، وفيه المزايا التي يقع التفاضل في الفصاحة على ما شرحنا... فاعلم أن الفائدة في العلم به واقعة من المنشئ لها ، وصادرة عن القاصد إليها..."([33]).فالخبر بدايته ومنطلقه من المتكلم ، وتتنوع فيه الأغراض بعد ذلك على اختلاف صوره وأشكاله.

(٣٠) ابن حمدون ، محمد بن الحسن ، التذكرة الحمدونية ٢٦٣/٤ ، ط دار صادر ، بيروت ، ط ١ ، (١٩٩٦)م. تحقيق إحسان عباس ، وبكر عباس .
(٣١) المرزوقي ، أبو علي أحمد بن الحسن ، شرح ديوان الحماسة ٨٩٣/١ ، ط دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، (١٤١١)هـ(١٩٩١)م. تحقيق أحمد أمين ، وعبد السلام هارون.
(٣٢) شرح ديوان الحماسة ٣٩٣/١ ، ٣٩٤
(٣٣) دلائل الإعجاز صـــ٥٤٣- ٥٤٥باختصار.

المجاز العقلي : بحث المتأخرون من البلاغيين – وعلى رأسهم الخطيب القزويني – المجاز العقلي في علم المعاني أثناء بحث الباب الأول من المعاني وهو " الإسناد الخبري" ، ولقد بين الإمام عبد القاهر أن هذا الضرب من المجاز "كنز من كنوز البلاغة ، ومادة الشاعر المفلق ، والكاتب البليغ في الإبداع والإحسان ، والاتساع في طرق البيان "([٣٤]). ولقد قسم المتأخرون المجاز العقلي باعتبار حال المتكلم والواقع إلى أربعة أقسام:(أ) ما طابق الواقع والاعتقاد ، كقول المؤمن :" أنبت الله البقل ، وشفى الله المريض ".(ب) ما طابق الواقع دون الاعتقاد . كقول المعتزلي لمن لا يعرف حاله:" خالق الأفعال كلها هو الله تعالى ". (ج) ما طابق الاعتقاد دون الواقع. كقول الجاهل :" شفى الطبيب المريض ". (د) ما لا يطابق شيئاً منها . كالأقوال الكاذبة التي يكون القائل عالماً بها دون المخاطب"([٣٥]) . **فتقسيم البلاغيين هنا يتجه إلى المتكلم وما يعتقده لا إلى المخاطب** في هذا النوع الدقيق من المجاز ، ويبدو ذلك واضحاً من خلال تعريف السكاكي للمجاز العقلي – وقد بحثه في علم البيان([٣٦])- حيث يقول:" المجاز العقلي هو الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه لضرب من التأويل..."([٣٧]) .

تعريف المسند إليه: بحث البلاغيون المسند إليه ، وهو المحكوم عليه بحثاً مستفيضاً ، وذكروا له أحوالاً مختلفة من حذف وذكر ، وتعريف وتنكير ، ووصف ، وتقديم وتأخير ، وهو باب في علم المعاني طويل الذيول ، وتختلف الأغراض فيه باختلاف السياق والمقام ، ولن يتسع المقام لذكر شواهد على بلاغة المتكلم في كل مبحث وغرض من أغراضه ـ ومن هنا سأكتفي بالإشارة إلى بعض المواضع التي تتصل بالبحث في باب " أحوال المسند إليه ".

تعريفه بالإضمار: ذكر البلاغيون أن تعريف المسند إليه لتكون الفائدة به أتم([٣٨]) ، ومعلوم أن الضمير إما للمتكلم ، وإما للمخاطب ، وإما للغائب ، وما يعنينا هنا بلاغة المتكلم ، فنتجه إلى تعريفه بضمير المتكلم . ولقد ذكر البلاغيون أن تعريفه بضمير المتكلم إذا كان المقام مقام تكلم([٣٩]) ، وهذا أمر يختلف تبعاً للمقاصد والغايات .

ولنأخذ شاهداً من كتاب الله ﷻ حيث يقول تعالى منادياً موسى عليه السلام :﴿ **إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي** ﴾ [طه:١٤] ، والتعريف هنا بضمير المتكلم جاء الإخبار به لأكثر من سر بلاغي . فمن ذلك ما ذكره ابن عاشور حيث يقول :" ووقع الإخبار عن ضمير المتكلم باسمه العلم الدال على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد . وذلك أول ما يجب علمه من شؤون الإلهية ، وهو أن يعلم الاسم الذي جعله الله علماً عليه ؛ لأن ذلك هو الأصل لما سيُخاطب به من الأحكام المبلغة عن ربهم ، وفي هذا إشارة إلى أن أول ما يتعارف به المتلاقون أن يعرفوا أسماءهم ، فأشار الله إلى أنه عالم باسم كليمه ، وعلَّم كليمه اسمه ، وهو الله "([٤٠]) ، ومنه أيضاً قوله تعالى خطاباً للنبي ﷺ:﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى** ﴾ [الكهف:١٣] ([٤١]) ، ومنه قوله ﷺ :" **أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب** "([٤٢]) . والتعريف بضمير المتكلم هنا للفخر المحمود في مثل هذه المواقف التي يُكاد فيها الأعداء وتُرغم أنوفهم إظهاراً لعزة الإسلام([٤٣]) ، وبياناً لمكانته ﷺ "فكأنه ﷺ يُري الكفار شدة جأشه وشجاعته ، مع كونه مؤيداً من عند الله تعالى حين فلت شوكة المسلمين... فكان افتخاره بالله وبقربه منه ..."([٤٤]).

ومنه في الشعر أمثلة كثيرة :كقول بشار بن برد:

أنا المُرَعَّثُ لا أُخْفَى على أحَدٍ ذرَّت بِيَ الشَّمسُ للقاصي وللداني([٤٥])

فالمقام هنا مقام فخر واعتداد بالنفس من قبل الشاعر ، " والحق أن ضمير التكلم يؤتى به في مقام الفخر ونحوه لما فيه من الإشعار بالاعتداد بالنفس"([٤٦]) . والأمثلة لهذا النوع كثيرة في الشعر والنثر يضيق المقام عنها ولقد ذكر بعض المعاصرين طائفة منها في كتبهم بما يغني عن إعادتها هنا([٤٧]).

التعريف بالإضافة : من مواضع بلاغة المتكلم أيضا : تعريف المسند إليه بالإضافة ، ولقد ذكر البلاغيون أغراضاً كثيرة للتعريف بالإضافة ، ومنها : تعظيم شأن المضاف أو المضاف إليه ، وما يعنينا هنا هو المضاف إليه ، ومن ذلك : قولك :" عبدي حضر " فتعظم شأنك"([٤٨]) . فأنت هنا أيها المتكلم تريد أن ترفع من شأن نفسك ، وتظهر أن لك عبداً تأمره وتنهاه ، إظهاراً للشرف وعلو المكانة.

تقديم المسند إليه: ذكر البلاغيون أن المسند إليه يقدم لأغراض بلاغية كثيرة ، "إمَّا لكون ذكره أهم ، وإمَّا لأنه الأصل ولا مقتضى للعدول عنه ، وإمَّا ليتمكن الخبر في ذهن السامع..."([٤٩]) ، ولغير

---

(٣٤) دلائل الإعجاز صـــ٢٩٥

(٣٥) الإيضاح ١/ ٤١ ، ٤٢ ، ط مكتبة الآداب ، القاهرة ، (١٤٢٠)هـ (١٩٩٩)م.

(٣٦) المجاز العقلي يذكره بعض الباحثين في علم البيان من حيث إنه ضرب من المجاز ، ويذكره بعضهم في أحوال الإسناد الخبري من حيث إنه حال من أحوال الإسناد الخبري أو النسبة الخبرية ، وممن أدرجه ضمن مباحث علم البيان : السكاكي . ينظر السكاكي ، أبو يعقوب يوسف ، مفتاح العلوم ، صـــ ٦٢٧ ، ط دار الرسالة ، بغداد ، ط ١ ، (١٤٠٢)هـ(١٩٨٢) ، تحقيق أكرم عثمان يوسف ، وأبو موسى ، محمد ، خصائص التراكيب ، صـــ١٠٠ ، ط مكتبة وهبة ، ط رابعة (١٤١٦)هـ(١٩٩٦)م.

(٣٧) مفتاح العلوم صـــ ٦٢٧

(٣٨) الإيضاح ٦٢/١

(٣٩) الإيضاح ٦٢/١

(٤٠) التحرير والتنوير ١٩٩/١٦

(٤١) تراجع هذه الأمثلة وغيرها في عباس ، فضل حسن ، البلاغة فنونها وأفنانها ،علم المعاني ، صـــ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ط دار الفرقان للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط ٤ ، (١٤١٧)هـ(١٩٩٧)م.

(٤٢) متفق عليه من حديث البراء بن عازب ، التبريزي ، الخطيب ، مشكاة المصابيح ح رقم (٤٨٩٥) ٣١٤٥/١٠ ، ٣١٤٦، ط مكتبة نزار ، مكة المكرمة ، ط ١ (١٤١٧)هـ(١٩٩٧)م. تحقيق عبد الحميد هنداوي.

(٤٣) لأن سبب ورود الحديث ما وقع يوم غزوة حنين ، وكان أبو سفيان بن الحارث آخذاً بعنان بغلة النبي ﷺ فلما غشيه المشركون نزل فجعل يقول الحديث.

(٤٤) الطيبي ، شرف الدين ، شرح الطيبي على المشكاة ، الكاشف عن حقائق السنن ٣١٤٥/١٠ ، ٣١٤٦، ط مكتبة نزار ، ط أولى (١٤١٧)هـ.

(٤٥) المُرَعَّثُ : المُقَرَّط ، لقب به لرعثة كان يعلقها وهو صغير في أذنه ، وقوله " ذرت " معناه : طلعت ، وهو كناية عن شهرته . بغية الإيضاح ٦٢/١

(٤٦) بغية الإيضاح ٦٢/١

(٤٧) يراجع على سبيل المثال : البلاغة فنونها وأفنانها – علم المعاني صـــ ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ومن بلاغة النظم العربي ١٣٩/١

(٤٨) الإيضاح ٧٥/١

(٤٩) الإيضاح ٩٠/١

ذلك من الأغراض التي تختلف باختلاف السياق والمقام . وما يعنينا هنا ما ذكروه من أغراض تعود إلى المتكلم ، وترتبط به . ومما ذكروه من هذه الأغراض : "تقديمه [أي المسند إليه] لإيهام أنه لا يزول عن الخاطر ، أو لأنه يُستَلَذُّ فهو إلى الذكر أقرب "([٥٠]) .

ومن أمثلة ذلك :قول جميل :

بُثَيْنَةُ ما فيها إذا تُبَصَّرتْ مَعَابٌ ولا فيها إذا نُسِبَتْ أشَبُ([٥١])

يقول: " إنها عند السبر والنظر ، والكشف والتأمل ، نقية من العيب ، بريئة من الشوب، فلها عند المبالغة في البحث النظرة الأولى ، ولها البسطة وهي النظرة الثانية ، ويعني بها أن يبسط التميز على ما يتجلى من أمرها ، ويُسلَّط التنقير على كثير مما يخفى من أحوالها ، وقال : ولها العَقْبُ أيضاً ، وهو النظر بعد النظر وفي موضع آخر الجري بعد الجري "([٥٢]) . فـ "بثينة " لا تغيب عن باله ، وهي شاخصة أمام بصره ، وهو يعيد النظر إليها مرة بعد مرة ، ولا يجد فيها عيباً ، ونظره إليها نظر محب متأمل لم يكتف بنظرته الأولى وهي النظرة العابرة ، حتى أتبعها ثانية للتمعن والتبسط ، وثالثة للبحث والتأمل . ولذلك قال بعد ذلك : إنها إن تركت التزين لم يؤثر ذلك في صورتها وبهائها ، وإن تزينت كان فيها الكفاية والغناء لمن يبصر لها ، فالشاعر هنا يستلذ بذكرها ، وهي لا تغيب عن خاطره ([٥٣]). فالغرض من التقديم هنا أمر يصف فيه المتكلم حاله ، وشغفه بمحبوبته.

تقديم "مثل ، وغير" : بحث البلاغيون تقديم " مثل ، وغير " في تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي، وبينوا أن تقديمها مما هو " مركوز في الطباع ، ومما جرت عليه عادة كل قوم "على حد عبارة الشيخ عبد القاهر([٥٤]) وأن تقديمها على الخبر الفعلي مما يحدث بلاغة في الكلام إذا كان الحكم عليها كناية ([٥٥]) عن الحكم على ما أضيفا إليه([٥٦]) ، كما ذكروا أن "سر تقديمها تقوية الحكم"([٥٧]). وما يتصل بالبحث هنا ما يرجع إلى المتكلم من تقديمها ، وذلك حين يكون المقصود من الكلام الحكم على "المتكلم"بطريق الكناية .

ومن أمثلة ذلك: قول المتنبي :

غيري بأكثر هذا الناس ينخدعوا إن قاتلوا جَبُنوا أو حَدَّثوا شَجَعوا

(٥٠) الإيضاح ٩٠/١

(٥١) تُبُصِّرت : أي استُقْصيَ النظر إليها ، والكشف عن حالها . والمَعَابُ : العيب . والأشَبُ : الخلط. وهذا البيت بعده قوله :

لها النظرةُ الأولى عليهم وبَسْطةٌ وإن كُرِّت الأبصارُ كان لها العَقْبُ
إذا ابتَذَلتْ لم يُزْرِهَا تَرْكُ زِينَةٍ وفيها إذا ازْدَانت لِذِي نِيقَةٍ حَسْبُ

(٥٢) شرح ديوان الحماسة ١٤٢٤/١

(٥٣) شرح ديوان الحماسة ١٤٢٤/١ باختصار وتصرف.

(٥٤) دلائل الإعجاز صـ ١٤٠

(٥٥) الإيضاح ١٠٣/١

(٥٦) أي يكون الحكم على ما أضيفت إليه هو المقصود من الكلام بطريق الكناية. مثال ذلك : قولك: " مثلك رعى الحق والحرمة " ، تمدح رجلاً ، فأنت لا تقصد أن هناك شخصاً آخر يماثل الممدوح كانت منه رعاية الحق والحرمة ، وإنما تقصد بطريق الكناية أن رعاية الحق كانت من المخاطب نفسه. من بلاغة النظم العربي ١٨٦/١ ، ١٨٧

(٥٧) الإيضاح١٠٣/١

يريد أن يقول : " إنهم جبناء في قتالهم ، شجعان في حديثهم ، فلا تصدق أفعالُهم أقوالهم "([٥٨]) فالشاعر هنا " لم يرد أن يعرض بواحدٍ هناك فيصفه بأنه ينخدع ، بل أراد أنه ليس ممن ينخدع"([٥٩])، وجاء التعبير عن ذلك بطريق الكناية ، وهو أبلغ في تأكيد عدم انخداعه ، وهو هنا من بلاغة المتكلم التي يقصد بها نفسه لا غيره([٦٠]).

الالتفات: وهو باب من روائع البلاغة وأسرارها ، وهو من صور إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ، وعرفه الجمهور بأنه " التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها"([٦١]).و هو من صور الافتنان في الكلام والتصرف فيه عند العرب" " حيث تختص به اللغة العربية دون غيرها من اللغات "([٦٢]) " لأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب ، كان أحسن تطرية لنشاط السامع ، وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد"([٦٣]) ، وذكروا له ست صور ، وهي : التفات من التكلم إلى الخطاب ، ومن التكلم إلى الغيبة ، ومن الخطاب إلى التكلم ، ومن الخطاب إلى الغيبة ، ومن الغيبة إلى التكلم ، ومن الغيبة إلى الخطاب([٦٤]).ونقف هنا عند صورة من صور الالتفات التي تتصل بالمتكلم ، وهي الالتفات من **الخطاب إلى التكلم** حيث يقول : علقمة بن عبدة العجلي :

طَحَا بِكَ قَلْبٌ في الِحسانِ طَرُوبُ بَعِيْدَ الشبابِ عَصْرَ حَانَ مَشيبُ
يُكلِّفُني ليلى وقد شَطَّ وَلْيُها وعادتْ عوادٍ بيننا وخطوبُ([٦٥])

"والشاهد فيه أن الكلام جرى في البيت الأول على طريق الخطاب في قوله :" طحا بك " ، ثم انتقل إلى طريق التكلم في قوله : " يكلفني " ، وحسن هذا الانتقال هو أن التكليف بليلى والحال كما وصف مقطع مهم من مقاطع المعنى ، ووقوعه على نفسه وقوعاً واضحاً ومباشراً مما يقوى به الكلام "([٦٦]) . فصور من خلال الالتفات مدى معاناته من فراق محبوبته ، وما يقف بينه وبينها من العوائق والموانع ، فجاء الالتفات إلى التكلم في قوله " يكلفني " معبراً عن مدى معاناة الشاعر من ألم الفراق والبعد أتم تعبير. ونكتفي بهذه الشذرات من بيان بلاغة المتكلم في باب المسند إليه ، وننتقل إلى " أحوال المسند" .

(٥٨) بغية الإيضاح ١٠٣/١

(٥٩) الإيضاح ١٠٣/١

(٦٠) وكذلك الحال في "مثل" أيضاً . راجع أمثلة لها في البلاغة فنونها وأفنانها – علم المعاني صـــ١٢٦ ، ٢٢٧

(٦١) الإيضاح١١٥/١

(٦٢) ابن الأثير ، ضياء الدين ، المثل السائر ١٦٧/٢، ط دار نهضة مصر ، القاهرة ، تحقيق أحمد الحوفي ، وبدوي طبانة .

(٦٣) الكشاف ١٢٠/١

(٦٤) الكشاف ١١٥/١، ١١٦

(٦٥) قوله : " طحا " بمعنى ذهب وأتلف . وطروب . بمعنى أن له طرباً ونشاطاً في طلبهم ، وقوله " يكلفني" ضميره يعود إلى القلب ، وروي " تكلفني " فيجوز أن يكون فاعله القلب على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ، ويجوز أن يكون فاعله ليلى : بمعنى أنها تكلفه شدائد فراقها. وقوله "شط وليها " بمعنى بعد قربها ، وقوله " عادت عواد " بمعنى رجعت عوائق كانت تحول بيننا إلى ما كانت عليه ، ويجوز أن تكون " عادت " من المعاداة. بغية الإيضاح ١١٦/١

(٦٦) خصائص التراكيب صـ ٢٥٤

أحوال المسند : المسند هو الركن الثاني من أركان جملة الإسناد ، وهو المحكوم به ، ويكون فعلاً أو خبراً ، ولقد ذكر البلاغيون أنه الباب الثالث من أبواب علم المعاني وذكروا من أحواله : ذكره وتركه ، وتعريفه وتنكيره ، وتقديمه وتأخيره ، ثم إيراده مفرداً أو جملة ، ثم تقييده بمفعول أو بشرط .

ونقف هنا عند بلاغة المتكلم في أحول المسند ، وسأكتفي ببعض المواضع التي تصور أن بلاغتنا لم تهمل جانب المتكلم ، وحديثه عن نفسه في كثير من فنون البلاغة ومسائلها ، وأبدأ بـ " ترك المسند " (حذفه).

ترك المسند ([٦٧])(حذفه) : ذكر البلاغيون أن المسند يترك من الكلام إذا كانت هناك قرينة تدل عليه ، وقد ذكروا لهذا الترك أسراراً وأغراضاً تختلف باختلاف السياق والمقام ، ومن هذه الأغراض : " الإيجاز ، وتخييل العدول إلى أقوى الدليلين ، واختبار تنبه السامع عند قيام القرينة أو مقدار تنبهه ، والاحتراز عن العبث بناءً على الظاهر ..."([٦٨]).ومن هذه الأغراض التي تعود على المتكلم ، وتتصل به ، وتعبر عن حاله : ضيق المقام ، ومن أمثلته : قول ضابئ بن الحارث البُرْجمي :

ومـــن يَكُ أمسى بالمدينة رَحْلهُ فإني وقيَّار بها لغريبُ([٦٩])

وشاهدنا في الشطر الثاني من البيت " فإني وقيَّار بها لغريبُ " ؛ "حيث أراد الشاعر أن يصف إحساسه بالغربة والوحشة ، فذكر أن هذه الغربة الكئيبة قد أحسها غيره كما أحسها هو ، وأصل الكلام أن يقول : "فإني لغريب بها وقيَّار غريب" ، ولكنه حذف المسند في الجملة الثانية ؛ لأن ذكره في العبارة بعد دلالة القرينة عليه عبث يذهب بطلاوة الشعر ، ولأن نفسه الضائقة بهذه الغربة تنزع إلى اللمح والإيجاز ، وفي البيت صنعة أخرى شريفة لأنه لم يقل بعد الحذف : فإني لغريب بها وقيَّار ، وإنما قال : فإني وقيَّار بها لغريب ، فقد قدم قيَّاراً على بقية الجملة وأقحمه بين جزئيها ، وذلك لقصد التسوية بينهما في التحسر على الاغتراب"([٧٠]) . ويفسر لنا العلامة سعد الدين التفتازاني هذا السر الرائع فيقول : " إنه لو قيل : " إني لغريب وقيَّار " لجاز أن يُتَوهم أن له مزية على قيَّارٍ في التأثر بالغربة لأن ثبوت الحكم أولاً أقوى ، فقدمه ليتأتى الإخبار عنهما دفعة بحسب الظاهر تنبيهاً على أن قيَّاراً مع أنه ليس من ذوي العقول قد ساوى العقلاء في استحقاقه الإخبار عنه بالاغتراب قصداً للتحسر"([٧١]) .وذكر العباسي : أن ترك المسند للاختصار ، والاحتراز عن العبث في الظاهر ، مع ضيق المقام بسبب التحسر ، ومحافظة الوزن "([٧٢]) ، ثم نقل بعد ذلك كلام صاحب المطول في تحليل الشاهد السابق. وتحليل البلاغيين للبيت السابق ينطبق عليه ما سبق ذكره من أنهم لم يهملوا الصورة النفسية والذهنية للمتكلم ، وما يتصل بها من أغراض بلاغية ، فليس كل الأغراض ترجع إلى المخاطب أو السامع ، بل من الأغراض ما يعبر به المتكلم عن نفسه وحاله ، وما يدور في حنايا صدره ، وأصدق شاهد على جليل عنايتهم هذا التحليل الأدبي الدقيق للبيت السابق على لسان صاحب المطول ، مع وضع هذا البيت في سياقه من بقية الأبيات التي نقلتها في هامش الصفحة الماضية ؛ وذلك حتى تكتمل معالم الصورة النفسية والذهنية للمتكلم ([٧٣]) .ولننتقل إلى حالٍ أخرى من أحول المسند لنلمح من خلالها كيف نظر البلاغيون إلى الأغراض التي تتصل بالمتكلم .

تقديم المسند: ذكر البلاغيون أن تقديم المسند يكون " لتخصيصه بالمسند إليه ، أو للتنبيه من أول الأمر على أنه خبر لا نعت ، أو للتفاؤل ، أو للتشويق إلى ذكر المسند إليه "([٧٤]) . ومعلوم أن أغراض تقديمه لا تقف عند ما ذكروه ، فالأغراض تتعدد وتختلف تبعاً للسياق والمقام والمقاصد من المتكلمين([٧٥]) ، ولقد ذكر ضياء الدين بن الأثير أن تقديم الخبر على المبتدأ من القسم الذي يكون التقديم فيه هو الأبلغ ([٧٦]). ومن هذه الأغراض التي تتصل بالمتكلم ، وتعبر عنه : " إظهار التألم والضجر ، كقول المتألم المتضايق :" بئست الدنيا ، بئست مظاهرها" ، فبـ " بئست " مسند مقدم لإظهار هذه الحالة النفسية التي يظهرها المتكلم في هاتين العبارتين ونحوهما"([٧٧]) . والتألم والضجر ، والتحسر ، والتوجع ، والتحزن ، وغيرها من الأمور التي ترتبط بنفس المتكلم ، وقد سبق بيان ذلك عند الحديث عن أغراض الخبر .

أسلوب الإنشاء : قسم البلاغيون الإنشاء إلى " طلب وغير طلب ، وبينوا أن الطلب " يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب" ، و ذكروا أن أنواع الطلب هي: التمني ، والاستفهام ، والأمر ، والنهي ، والنداء"([٧٨]) . وهذا الباب من علم المعاني فن واسع من فنون التعبير ، وميدان فسيح يتجه إليه المتكلم من باب التلوين والتنويع في الأساليب على حسب الغرض والمقام ، فقد يحتاج المتكلم إلى استعمال الجملة الخبرية ليعبر بها عن غرضه كما سبق في بحث الإسناد الخبري ، وأحوال المسند إليه والمسند ، وقد يلجأ

---

(٦٧) عبر البلاغيون بـ الترك في المسند ، والحذف في المسند إليه للإشارة إلى أن المسند إليه هو الركن الأقوم ، والحاجة إليه في الكلام أشد وأتم ، حتى أنه إذا لم يوجد في الكلام فكأنه ذكر ثم حذف قضاءً لحق المقام ، بخلاف المسند فإنه ليس بهذه المثابة ، فيجوز أن يترك ، ولا يؤتى به لغرض . المطول صـ١٣٩ ، ١٤٠

(٦٨) الإيضاح ١٢٩/١ وما بعدها.

(٦٩) الرحل : المنزل والمأوى ، وقيَّار : اسم فرسه أو غلامه . وكان عثمان رضي الله عنه قد حبسه في المدينة لهجائه قوماً في شعره . وهذا البيت بعده قوله

وما عَاجِلاتُ الطَّير تُدْنِي من الفَتَى نجـــاحاً ولا عن رَيْثِهنَّ يخيبُ
ورُبَّ أمورٍ لا تَـضِيرُكَ ضَـــيْرَةً وللْقَـــلْبِ مِنْ مَخشَاتِهنَّ وجِيبُ
ولا خير فيمن لا يوطـن نفـــسه عَلى نَائِبَاتِ الدَّهْر حِيـنَ تَـنُوبُ
وَفِي الشَّكِّ تَفْرِيطٌ ، وفي الحَزْمِ قُوَّةٌ وَيُخْطِئُ في الحَذْرِ الفَتَى ويُصِيبُ

وينظر في بيان معنى البيت وإعرابه العباسي ، عبد الرحيم ، معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص ، ٦٥/١ ، ٦٦ ، ط المطبعة البهية ، القاهرة ،(١٣١٦)هـ

(٧٠) خصائص التراكيب صـ٢٧٣

(٧١) المطول صـ١٤٠

(٧٢) معاهد التنصيص ٦٦/١

(٧٣) يراجع كلام عبد الرحيم العباسي عن الشاعر ، وقصته في معاهد التنصيص ٦٥/١ ،٦٦

(٧٤) ينظر التفصيل والأمثلة في الإيضاح ١/ ١٦١ ، ١٦٢

(٧٥) ينظر المطول صـ١٨٦

(٧٦) المثل السائر٢١٠/٢

(٧٧) من بلاغة النظم العربي ٢٦٧/١

(٧٨) الإيضاح ٢٨/٢-٥١ باختصار.

إلى الجملة الإنشائية ليعبر عن تمني أو استفهام أو نداء ، أو دعاء أو غير ذلك من الأغراض والأسرار التي تختلف باختلاف السياق والمقام . وهذا باب واسع ، وهو بحث طويل الذيول ، كثير الأغراض والأسرار في كتب البلاغة ، وتتفاوت الأغراض فيه قلة وكثرة على حسب نوع الإنشاء ، فمثلاً بحث الاستفهام يعد من أوسع المباحث في فن الإنشاء الطلبي ؛ وذلك نظراً لكثرة أدوات الاستفهام وما تنطوي عليه من أغراض وأسرار بلاغية ، بينما نجد بحوث: التمني ، والنهي ، والنداء من أصغر مباحث الإنشاء الطلبي عند البلاغيين . "ولقد اهتم البلاغيون بدراسة الإنشاء الطلبي لأنه كثير الاعتبارات ، وتتوارد عليه المعاني التي تجعله من الأساليب الغنية ذات العطاء والتأثير بخلاف الإنشاء الذي ليس وراءه طلب ، فليست أساليبه مما توارد عليه المعاني ... وهذا لا يعني أن ليس للتعجب والقسم مواقع يلتفت إليها في البحث عن المزية ؛ لأن كل عناصر الكلام وصوره مجال لهذا البحث ..."([٧٩]) . وسنقف هنا عند بعض أنواع الإنشاء الطلبي لنحلل بعض المواضع التي تتصل بالمتكلم ، ونبين ما تنطوي عليه من أسرار بلاغية .

التمني: ذكر البلاغيون أن التمني هو " طلب حصول شيء على سبيل المحبة "([٨٠]) ، وأن أداته الموضوعة له " ليت "([٨١]) ، ولا يشترط فيه الإمكان ، فالشيء المطلوب في التمني دائماً يكون غير متوقع ، ويدخل فيه ما لا سبيل إلى تحقيقه ، فإن كان المطلوب ممكناً كان الكلام ترجياً ، والعبارة عنه تكون بـ" لعل ، وعسى " ([٨٢]) وأمثلة التمني في القرآن ، وكلام العرب شعره ونثره كثيرة جداً ، وهي كلها تدور حول المتكلم ، وطمعه في الحصول على أمر مأمول ، وهو ضرب من المستحيل أو غير الممكن ، وعلى حد عبارة الدكتور مُحَمَّد أبي موسى " قلنا : إن وراء كلمة " ليت " في أكثر مواقعها ظمأ لا يروى ، وأنها تصف آمالاً حبيسة ، ورغائب لا سبيل إلى تحقيقها، ولو كانت هذه الرغائب ممكنة فإنها عند المتمني وفي حس نفسه مما يبعد تحقيقها ،وقلنا أيضاً : إن إيغال الرغائب في البعد مما يزيد النفس بها تحرقاً واستعاراً "([٨٣]). ولقد ذكر ابن يعقوب المغربي القيمة النفسية لهذا الأسلوب حين ذكر أن تمني ما لا سبيل إليه قد يكون" للاستعطاف أو الاعتذار، وقد يكون لمجرد موافقة الخاطر والترويح عن النفس"([٨٤]) .

ومن ذلك قول أبي العتاهية:

فيا ليتَ الشبابَ يعودُ يوماً فأُخبرهُ بما فَعلَ المشيبُ([٨٥])

ونلمح هنا وراء أبيات أبي العتاهية فؤاد مكلوم يتحسر ويبكي على ضياع الشباب ، وقد علاه المشيب فبعد أن بكى ونعى وتأسف على ضياع الشباب ، تمنى وطمع في عوده يوماً ليحدثه عما فعل به المشيب ، وما يتمناه الشاعر أمر غير مأمول ، ولكن الشاعر لفرط رغبته ، وشده أمله وكونه مما لا تفتر النفس عن طلبه والطمع فيه أظهره في صورة ما هو مأمول أن يرجع يوماً من الأيام.

الاستفهام: ذكر العلامة "سعد الدين التفتازاني " أن الاستفهام " هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن ..."([٨٦]) ، والألفاظ الموضوعة له : " الهمزة ، و " هل " ، و " ما " ، و "مَنْ" ، و " أي " ، و " كم " و"كيف " ، و " أين " ، و " أنَّى " ، و " متى " ، و " أيان " "([٨٧]) . وهذه الأدوات التي ذكروها لكل أداة منها معانٍ مجازية تستخدم فيها لأغراض بلاغية ترتبط بالسياق والمقام ؛ ومن هنا فبحث الاستفهام من أوسع مباحث الإنشاء الطلبي ؛ نظراً لكثرة أدواته وتفصيلاته ، وما يتبعها من معانٍ وأسرارٍ بلاغيةٍ تتنوع وتختلف تبعاً للمقاصد والمقامات. وسأشير هنا إلى أمثلة لهذه الأغراض من أدبنا الحديث ؛ وذلك نظراً لأن البلاغيين وإن أشاروا إلى هذه الأغراض ومثلوا لها إلا أنهم لم يذكروا أمثلة تتصل بالمتكلم ، وتعبر عن حاله .

فمما يتصل بالمتكلم من هذه الأغراض : غرض الشكوى والتألم ، كقول سيد قطب:

مَنْ لِي إذا جَنَّ الظلامُ بِهَدْأَةٍ كالهادئين ، ومَنْ يُطَمْئِنُ جَانِبِي؟
أنا في الطَّبيعةِ مُفْرَدٌ بِمشَاهِدٍ تُلْهِي فُؤَادي عَـنْ أَعَزِّ رَغَائِبِي
الليلُ يُشجيني بِرائِعِ صَوْحِهِ وكَـواكِبٌ يَـغْرَيْنَ إثْرَ كَـواكِبِ([٨٨])

الشاعر هنا يشكو من الزمان ويتألم لحاله ، وهو رجل شاعر يرى فيما حوله مواطن للعبرة والعظة ، ينظر حوله فيرى مشاهد مؤلمة ، وأمور تبعث الشجن([٨٩]) . وهنا اتجه الشاعر للاستفهام في البيت الأول ليعبر عن هذه الحال التي تعتري الشعراء ، فهو في قلق ولا يجد هدأةً أو قراراً مثل الهادئين ، ولا يجد من يريح باله ، فهو من خلال الاستفهام في قوله " من لي " في الشطر الأول ، " ومن يطمئن " في الشطر الثاني يصور حالة القلق والاضطراب التي تعتري الشعراء ، وهم يصورون ما حولهم من أمور الحياة ، وما يكابدون من آلامها، ونلمح في مجيء " منْ " أنها كشفت عن حالة من الضيق يعاني منها الشاعر ، فهو يبحث عن متنفس له بين كدر الحياة وهمومها ، ويريد واحة من الأمان والسكينة ، ولكنه لا يجد ما يريد .وألمس في مجيء الجار والمجرور بعد أداة الاستفهام " من لي " ألمس نفساً مكلومة تبحث عن مخرج مما هي فيه ، ومطلع القصيدة

---

(٧٩) أبو موسى ، محمد ، دلالات التراكيب ، صـ١٩٢ باختصار، ط مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط ٢ (١٤٠٨) هـ (١٩٨٧)م.
(٨٠) المطول صـ ٢٢٥
(٨١) وقد يتمنى بـ" هل ، ولو ، ولعل " الإيضاح ٢٨/٢
(٨٢) دلالات التراكيب صـ ١٩٤
(٨٣) دلالات التراكيب صـ١٩٩ باختصار.
(٨٤) المغربي ، ابن يعقوب ، مواهب الفتاح ٢٤٠/٢ ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ .
(٨٥) وهذا البيت قبله قوله :

بَكَيْتَ على الشبابِ بِدَمْعِ عَيْنِي	فَلم يَغنِ البُـكاءُ ولا النَّـحِيبُ
فيَـا أسَفاً أسِفْتُ على شَـبَـابٍ	نَعاهُ الشَّيبُ والرأسُ الخَضيبُ
عَرِيتُ من الشَّبابِ وكانَ غُصْناً	كَما يَعْرَى مِنَ الوَرَقِ القَضيبُ

ديوان أبي العتاهية صـ ٤٦ ، ط دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، (١٤٠٦) هـ (١٩٨٦)م. تحقيق كرم البستاني.
(٨٦) المطول صـ ٢٢٦
(٨٧) الإيضاح ٣٠/٢
(٨٨) قطب ، سيد ، الأعمال الشعرية الكاملة، ط مركز الناقد الثقافي ، دمشق ، ط ١، (٢٠٠٨)م.
(٨٩) فقصيدة الشاعر من قصائد الشكوى ، ومطلعها قوله :

دَعْنِي ولا تَنْفُس عليَّ مَواهِبِي	خَذْها وخَذْ أَلمي بها ومَتَاعَبِي

يصور هذه الحال أصدق تعبير . ومن مجيء الاستفهام للتحسر : قول البارودي يرثي زوجته :

يا دَهْـــرُ فيم فَجـــعْتَنِي بِحَلِيلةٍ كانت خُلاصة عُدَّتِي وعَتَادِي
إنْ كُنْتَ لمْ تَرْحَم صَغَايَ لِبُعْدِهـــــا أفلا رَحِمْتَ مِنَ الأسى أَوْلَادِي؟

" يتحسر البارودي على زوجه ، ويعتب على الدهر الذي انتزع منه كل شيء في حياته ، وكان عليه أن يرحم ضناه أو أسى أولاده ، وقد عبر بالاستفهام في مقام " التحسر" للإثارة والإلهاب " ، وجذب المشاعر"([٩٠]) . والأمثلة على الاستفهام لغرض الشكوى من الزمان ، والتعجب ، والتحسر ، وما يتصل بها من معانٍ تدور في فلكها كثيرة في قصائد ودواوين الشعراء قديماً وحديثاً ، وتحتاج إلى تتبع ومراجعة لهذه الدواوين مع تأمل وتجرد .والقصد هنا هو الإشارة إلى هذه المعاني والأغراض البلاغية في نفوس المتكلمين بها ، وأن الأمر فيها يتجه فيه المتكلم إلى نفسه ليعبر عن حاله وما يدور في خلجات صدره ([٩١]).

الأمر: ذكر الخطيب أن صيغة الأمر من المقترنة باللام نحو: " ليحضر زيد"... موضوعة لطلب الفعل استعلاءً ؛ لتبادر الذهن عند سماعها إلى ذلك ، وتوقف ما سواه على القرينة...، وقد تستعمل في غير طلب الفعل استعلاءً بحسب مناسبة المقام ، كالإباحة ، والتهديد ، والتعجيز ، والتسخير ، والإهانة ، والتسوية ، والتمني ، والدعاء "([٩٢]). ومن الأغراض التي تستعمل فيها صيغة الأمر في غير معناها الحقيقي : " التمني " ، كقول امرئ القيس:

ألا أيُّها الليلُ الطويلُ ألا انجَلِ بِصُبحٍ وما الإصْباحُ مِنكَ بِأَمثَلِ

فالشاعر هنا طال عليه الليل ، وكثرت فيه همومه وآلامه ، فجاء بصيغة الأمر " انجل " لا للحقيقة ؛ لأنه يعرف أن الليل لن ينجلي بأمره ولن يستجيب له ، ولكن أراد من هذا الأمر غرضاً آخر ، وهو : التمني" ، والتعبير عن تمنيه هنا بصيغة الأمر مما يلتحم مع السياق والحالة النفسية للشاعر وما يكابده من تعب ومشقة والتعبير بالانجلاء يعني : الانكشاف والظهور ، ففي "تغير الليل له راحة على كل حال"([٩٣]) ." فهو يتمنى أن ينجلي ذلك الليل ، وينأى بظلامه عنه حتى يستقبل الصباح ، وينعم بضيائه ، ثم عاد إلى ذلك بالنقض فقال : إنك أنت والصباح سواء ، فقد تحالفت الهموم عليه من كل جانب صباح مساء"([٩٤]). وهناك أغراض أخرى لصيغة الأمر ترجع إلى المتكلم :كالدعاء على سبيل التضرع([٩٥]) .

النهي: ذكر الخطيب أنه "كالأمر في الاستعلاء ، وله حرف واحد وهو " لا " الجازمة في نحو قولك :"لا تفعل"، وقد يستعمل في غير طلب الكف أو الترك : كالتهديد..."([٩٦]) . وللنهي معانٍ مجازية تختلف باختلاف السياق والمقام ، وكما يقول العلامة سعد الدين التفتازاني : "... ويستعمل لطلب الكف إما على سبيل التضرع فيكون دعاءً نحو : " اللهم لا تشمت بي أعدائي ، أو على سبيل التلطف فيكون التماساً ، كقولك لمن يساويك :" لا تفعل كذا أيها الأخ "..."([٩٧]). ومما يتصل ببلاغة المتكلم ويصور حاله من معاني النهي المجازية : غرض الدعاء والتضرع ، والابتهال إلى الله ﷻ ، ومن شواهده في القرآن الكريم : قوله تعالى : ﴿**...رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ...**﴾ [البقرة:٢٨٦] ، وقوله تعالى :﴿ **رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ**﴾ [آل عمران:٨] . فالآية الأولى ابتهال ودعاء من المؤمنين ، وتضرع إلى الله بأن يعفو عنهم ، ويتجاوز عن زلاتهم ، ففيها بيان رغبة العبد في طلب المغفرة من الله . والثانية : تعبير صادق عن رغبة هؤلاء المؤمنين في الثبات على الهداية والطريق المستقيم . والمواضع في مجيء النهي للدعاء والتضرع في القرآن الكريم كثيرة ، وهي مرتبطة بالمتكلم ، ومعبرة عن حاله ورجائه أصدق تعبير .

وقد يأتي النهي من المتكلم لغرض التمني ، كقول الخنساء في رثاء أخيها صخر :

أعَيْنَيَّ جُودَا ولا تَجْمُدَا ألَا تَبْكِيان لِصَخْرِ النَّدَى؟

" فالخنساء تتمنى أن تجود عيناها بالبكاء على أخيها ، فهو جدير بالبكاء ، وعلى ذلك فقولها" لا تجمدا" نهي أريد به التمني ، وسر التعبير بصيغة "النهي" في مقام "التمني" إظهار شدة حزنها ووجدها ، وأنها من أجل ذلك تضع الممكن "النهي" موضع المستحيل "التمني"، والعلاقة بين النهي والتمني التضاد على جهة المجاز المرسل"([٩٨]) .والأمثلة لمجيء النهي لغرض " التمني " كثيرة في الشعر ، والنثر ، ويمكن ملاحظتها من خلال السياق والقرائن ([٩٩]).

النداء: " وهو طلب الإقبال بحرف نائب مناب أدعو لفظاً أو تقديراً كـ " أيا ، وهيا للبعيد ، وقد ينزل غير البعيد منزلة البعيد ... و " أي ، والهمزة " للقريب ، وقد يستعملان في البعيد تنبيهاً على أنه حاضر في القلب لا يغيب عنه أصلاً ... ، وأما " يا " فقيل حقيقة في القريب والبعيد ، وقيل بل للبعيد ... "([١٠٠]) .

والنداء يخرج عن معناه الحقيقي لمعانٍ مجازية وأسرار بلاغية تختلف باختلاف السياق والمقام ، ولقد ذكر الخطيب من هذه الأغراض : " الإغراء ، والاختصاص"([١٠١]) . وزاد عليه سعد الدين التفتازاني بعض الأغراض فقال : " وقد تستعمل صيغة النداء في الاستغاثة نحو : "يا لله" ، والتعجب نحو "يا للماء" ، والتحسر والتوجع كما في

(٩٠) من بلاغة النظم العربي١٠٧/٢ ، ١٠٨
(٩١) ينظر على سبيل المثال : من بلاغة النظم العربي ١٠٧/٢ ، ١٠٨
(٩٢) الإيضاح ٤٨٤٦/٢-باختصار.
(٩٣) بغية الإيضاح ٤٨/٢
(٩٤) من بلاغة النظم العربي ٢/ ٨١
(٩٥) في مثل قوله تعالى : ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح:٢٨] فالأمر في قوله " اغْفِرْ " للدعاء والتضرع . الإيضاح ٤٨/٢
(٩٦) الإيضاح ٤٩/٢باختصار.
(٩٧) المطول صـ ٢٤٢ باختصار.
(٩٨) من بلاغة النظم العربي ٩٢/٢
(٩٩) ينظر على سبيل المثال : بغية الإيضاح٤٩/٢ ، ومن بلاغة النظم العربي ٩٢/٢
(١٠٠) المطول صـ٢٤٤باختصار شديد.
(١٠١) الإيضاح ٥١/٢ ، ٥٢

نداء الأطلال والمطايا ، وما أشبه ذلك "([102]) . هذا ما ذكره في المختصر ضمن شروح التلخيص ، وزاد في المطول " التضجر ، والندبة "([103]). وليست هذه كل الأغراض كما هو معلوم ، فالأمر يخضع للسياق والمقام ، فقد يكون النداء للدعاء والضراعة ، وقد يكون للتنبيه والإرشاد ، وقد يكون للزجر ، وغير ذلك مما يختلف باختلاف المقاصد والغايات ، وبعض الأغراض التي ذكرها البلاغيون : كالاختصاص ، والاستغاثة ، والتعجب ، والتحسر ، وغيرها في مجملها أكثر ما تعود على المتكلم ـ وتعبر عن حاله ، وتصور ما يدور في نفسه . فمن مجيء صيغة النداء لغرض التحسر عند نداء الأطلال :قول النابغة الذبياني:

يا دَارَ مَيَّةَ بِالعَلْيَاءِ فَالسَّنَدِ أَقْوَتْ وطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الأَمَدِ([104])

" فالشاعر هنا لا يطلب من الدار الإقبال ، ولكنه يريد أن يظهر توجعه وتحسره على تلك الأيام الخوالي التي قضاها في حماها عزيزاً مكرماً"([105]) . وما أكثر ما يكون في نداء الشعراء الأقدمين للديار والأطلال من التوجع والتألم ، والتحسر على ما فات من الزمان ، وفراق الأحبة والمنازل ، وما تحمله لهم من ذكريات .

ويلحظ من خلال ما سبق أن مباحث علم المعاني ومسائله لم تغب فيها بلاغة المتكلم عن الحضور بقوة وأن البلاغيين لم يهملوا الإشارة إلى جانب المتكلم ، أو يغفلوا الحديث عن أغراضه وما يدور في حنايا صدره وخلجات نفسه . لمسنا ذلك بوضوح في الخبر وأغراضه ، كذلك في أحوال المسند إليه والمسند ، وفي أنواع الإنشاء الطلبي ، ووجدنا أن حديث المتكلم عن نفسه يحمل أسراراً كثيرة تختلف باختلاف السياق والمقام ، وقد أضفت بعض الأمثلة لأغراض لم يذكر البلاغيون القدماء لها أمثلة حتى تكتمل معالم الصورة النفسية للمتكلم ومقاصده وغاياته. وإلى هنا أمسك عنان القلم ، وأكتفي بما سبق من " بلاغة المتكلم" في علم المعاني ، وأنتقل إلى علم البيان لنقف على بلاغة المتكلم من خلال مباحثه ومسائله.

الفصل الثاني : بلاغة المتكلم من خلال مسائل علم البيان

ذكر الخطيب أن علم البيان " هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه"، وأن أبوابه تنحصر في التشبيه والمجاز والكناية ، وقدم التشبيه على المجاز لابتناء الاستعارة التي هي مجاز على التشبيه ، وقدم المجاز على الكناية ؛ لنزول معناه من معناها منزلة الجزء من الكل "([106]). وعلم البيان هو أحد أعمدة البليغ ، ووسيلته للتعبير عن عاطفته ، فإذا كان علم المعاني يهدف إلى الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى ، ومراعاة أصول النظم بما يتفق ومقتضى الحال التي هي صلب البلاغة ، فإن علم البيان هو : "العلم الذي يحدث أثراً في نفسك ، ويسمو بعاطفتك ، ويرهف حسك"([107]) . فهو ينطلق بك إلى آفاق متراحبة من وجوه التعبير ، ووسائل البيان من خلال فنونه ، قد تجد في التعبير بالكناية من الدقة والوضوح ما لا تجده في غيرها ، وقد تجد في الاستعارة من التصوير والتمثيل ما لا تجده في غيرها ، وقد تجد في التشبيه من دقة الوصف ما لا تظفر به في غيره ، فأنت تنطلق بمعناك لتمثله بأي وجه من هذه الوجوه البيانية التصويرية بما يحقق لبيانك الوضوح ، ويكشف عما يدور في حنايا النفس ، وينقل الإحساس إلى المتلقي كما أحس به المتكلم ... قلت هذا الكلام لأبين إلى أي مدى يفيد المتكلم من بلاغة علم البيان ومباحثه ، وكيف أنه وسيلة من وسائل التعبير عما يدور في نفسه . ولنبدأ بالتشبيه .

التشبيه: عرف الخطيب التشبيه بأنه " الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى"([108]) ، وتحدث عن منزلته من فن البلاغة ، وأثره في تحريك النفوس لا سيما التمثيل منه ، وساق أمثلة لبيان هذا الأثر ، وبين بعد ذلك أسباب هذا التأثير([109]) . ولقد بحث البلاغيون في التشبيه: أركانه ، وطرفيه ، ووجه الشبه وما يدخل تحت الأخير من تقسيمات متعددة ، كما بحثوا أغراضه ، وبينوا أن منها ما يعود إلى المشبه ، ومنها ما يعود إلى المشبه به([110]) ، والأمثلة لبلاغة المتكلم فيه كثيرة منها: ما ذكره الخطيب في وجه الشبه التخييلي([111]) .وسأقف هنا عند مثال ذكره البلاغيون في أغراض التشبيه ، وهم بصدد الحديث عن بيان مقدار حال المشبه في القوة والضعف ، والزيادة والنقصان ، ومن ذلك قول المجنون :

فأصبحتُ من ليلى الغدَاةَ كقَابِضٍ على الماءِ خَانتهُ فُروجُ الأَصابِعِ

" أي بلغت في بوار سعيي في الوصول إليها ، وأن أمتع بها أقصى الغايات ، حتى لم أحظ منها بما قل ، ولا بما كثر "([112]) . "فالشاعر هنا قد بلغ أقصى غايات الحرمان وخيبة الأمل" ([113]) . فهو حديث عن النفس ، صور فيها الشاعر مدى ما فاته من محبوبته تصويراً دقيقاً . فحاله معها وقد فاته الوصول إليها مع شدة رغبته فيها كحال من يمسك على الماء وهو في أمس الحاجة إليه فيتساقط ويسيل من بين أصابعه . ومن ذلك أيضاً : ما ذكره البلاغيون في تشبيه التسوية " وهو أن يشبه شيئان أو أكثر بشيء واحد ، بمعنى أن يتعدد المشبه

---

(١٠٢) شروح التلخيص ٣٣٧/٢ ، ٣٣٨

(١٠٣) المطول صـ ٢٤٥ ، ٢٤٦

(١٠٤) العلياء: مكان مرتفع من الأرض . والسند : سند الوادي في الجبل وهو ارتفاعه حيث يسند فيه ، أي يصعد . وأقوت : خلت من أهلها . والسالف: الماضي . التبريزي ، الخطيب ، شرح القصائد العشر صـ ٣٠٨ ، ط دار الطباعة المنيرية ، ط ثانية (١٣٥٢)هـ .

(١٠٥) من بلاغة النظم العربي١٣٩/٢

(١٠٦) الإيضاح ٣/٣-٦ باختصار.

(١٠٧) عباس ، فضل حسن ، البلاغة فنونها وأفنانها ، علم البيان صـ١٣ باختصار ، ط دار الفرقان للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط ١٠ ، (٢٠٠٥)م.

(١٠٨) الإيضاح ٧/٣

(١٠٩) " منها ما يحصل للنفس من الأنس بإخراجها من خفي إلى جلي ، كالانتقال مما يحصل لها بالفكرة إلى ما يعلم بالفطرة ، أو بإخراجها مما لم تألفه إلى ما ألفته ، أو مما تعلمه إلى ما هي به أعلم ، كالانتقال من المعقول إلى المحسوس ، ومن فضائل التشبيه أنه يأتيك من الشيء الواحد بأشياء عدة " الإيضاح ٣/٩-١٢باختصار شديد.

(١١٠) الإيضاح ٣٣/٣ وما بعدها.

(١١١) ومن ذلك قول ابن بابك عبد الصمد بن منصور : وأرضٍ كأَخلاقِ الكرامِ قَطعْتُها وقَد كَحَّل الليلُ السِّمَاك فأبصرا

فإن الأخلاق لما كانت توصف بالسعة والضيق تشبيهاً لها بالأماكن الواسعة والضيقة ، تخيل أخلاق الكرام شيئاً له سعة ، وجعل أصلاً فيه ، فشبه الأرض الواسعة بها . الإيضاح ١٧/٣

(١١٢) الإيضاح ٣٥/٣

(١١٣) فيود ، بسيوني ، علم البيان ، دراسة تحليلية لمسائل البيان ، صـ١١٥ ، ط مؤسسة المختار ، الأحساء ، ط ٣، (١٤١٨)هـ(١٩٩٨)م.

دون المشبه به ، ويسميه البلاغيون تشبيه التسوية ؛ لأنه قد سوى بين عدة مشبهات في مشبه به واحد"([114]) .

كقول الشاعر ([115]):

صُدغُ الحبيب وحالي كلاهما كالليالي
وثـغْرُهُ في صَـــفاءٍ وأدْمُـــعي كاللآلي([116])

" فالشاعر هنا شبه شعر الحبيب وحظه بالليل في السواد ، فأما تشبيه الشعر بالليل فللسواد في كليهما ، وأما تشبيه حظه بالليل ؛ فلأنه لم ينعم بوصال حبيبه ، وفي البيت الثاني مشبهان : الأول : ثغر الحبيب . الثاني : دموع الشاعر . والمشبه به واحد وهي اللآلي"([117]). هذا من ناحية الطرفين ، أما من ناحية الصنعة الفنية ، فهنا هذا الشاعر تعثر في حبه ، ولم ير أمامه سوى انسداد في الأفق ، فصور هذا التعثر في أمله بالليالي وما فيها من السواد ، فرأى أن شعر محبوبته وحاله قد استويا في السواد ، وكذلك في البيت الثاني الذي يوضح حال الشاعر وقد جمع بين ثغر حبيبته ودموعه في الصفاء . فهنا تصوير للحال من خلال تعدد المشبه ، البيت الأول : يصور خيبة أمله ، والبيت الثاني يصور حزنه ودموعه وشجنه .هذا ولقد ذكر الأستاذ علي الجندي كثيراً من الصور التشبيهية الرائقة ، والتي تتصل بالمتكلم وتصور حاله في كتابه " فن التشبيه "([118]).

الاستعارة : عرف الخطيب الاستعارة بقوله : " هي ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له"([119]) .ولقد سبق أن الاستعارة مبنية على التشبيه ، فهي تشبيه حذف أحد طرفيه([120]) . ولقد ذكر البلاغيون للاستعارة عدة تقسيمات : " باعتبار الطرفين ، وباعتبار الجامع ، وباعتبار الثلاثة ، وباعتبار اللفظ ، وباعتبار أمر خارج عن ذلك كله "([121]) . ولن أدخل هنا في بيان تقسيماتها الكثيرة أو تعريفات هذه الأقسام ، فهذا أمر خارج عن مقصود البحث ، ولا يفيد في بيان بلاغة المتكلم ، وإنما أشير هنا إلى شيء من بلاغتها كما فعلت في التشبيه . فأقول : الاستعارة هي من روائع البيان ، ومن أدق وسائل التصوير والتعبير عما في النفس ، ومن أهم خصائصها : "تجسيد المعنويات ، وتشخيص المجردات ، وخلع الحياة على ما لا حياة فيه ، فتصبح المعنويات والأمور المجردة شاخصة أمام الأعين ، ويصير فاقد الحياة بالاستعارة حياً متحركاً ، وفيها الإيجاز والتفخيم في المعنى وتأكيده ، وحسن البيان ، وتحريك المشاعر ، وتنشيط الأذهان"([122]) إلى آخر ما ذكره البلاغيون حول فضيلتها وبلاغتها .

وسأوضح هذه البلاغة فيها بمثال من بلاغة المتكلم قد ذكره البلاغيون لتعدد الاستعارات . وهو قول امرئ القيس في معلقته :

فقلتُ لهُ لما تَمطَّى بِصُلْبِهِ وأَرْدَفَ أَعْجَازاً ونَاءَ بِكَلْكَلِ([123])

ويجدر هنا أن أنقل ما ذكره الخطيب القزويني حول الاستعارة في هذا البيت ، وما نقله عن الشيخ عبد القاهر الجرجاني ، يقول :"أراد وصف الليل بالطول ، فاستعار له صلباً يتمطى به؛ إذ كان كل ذي صلب يزيد في طوله عند تمطيه شيء ، وبالغ في ذلك بأن جعل له أعجازاً يردف بعضها بعضاً ، ثم أراد أن يصفه بالثقل على قلب ساهره والضغط لمكابده فاستعار له كلكلاً ينوء به أي ثقل. وقال الشيخ عبد القاهر : " لما جعل لليل صلباً قد تمطى به ثنى ذلك فجعل له أعجازاً قد أردف بها الصلب ، وثلث فجعل له كلكلاً قد ناء به فاستوفى له جملة أركان الشخص ، وراعى ما يراه الناظر من سواده إذا نظر قدامه ، وإذا نظر خلفه ، وإذا رفع البصر ، ومده في عرض الجو"([124]). لقد رأى الشيخ عبد القاهر في هذا البيت أنه أصل لشرف الاستعارة ؛ حيث جمع بين عدة استعارات ليلحق الشكل بشكله ، وأن يتم المعنى والشبه فيما يريد([125]).

وفيما يخص الاستعارة هنا ودورها في التعبير عن نفس الشاعر (المتكلم) وما يقاسيه من آلام متعاقبة قد تجمعت وتكالبت عليه وراء بعضها ، نلمح هنا أن الاستعارة قد أصابت كبد البلاغة ، وكشفت عن مقدار ما تعانيه هذه النفس المكلومة من آلام لا تفارقه في جزء من أجزائه ولا في ساعة من ساعته ، فلقد جمع بين هذه الاستعارات المتتالية ليشير إلى هذه الحالة من الهموم والأحزان المتتالية التي لا تفارقه .فهو ليل شاخص كالإنسان المتعالي الذي يأبى إلا أن يفرض نفسه أينما توجه الشاعر ، يراه أمامه وخلفه وحوله في كل ما يحيط به. إنها صورة لهموم متتابعة ، وآلام متتالية تستولي على نفس وعقل صاحبها ، ولا تفارقه أينما تقلب أو توجه ، ولا تتركه في لحظة من لحظات ليله لينعم أو ليهنأ ، بل كلما مر الليل كلما تجمعت واشتدت كصلب الإنسان الذي يتمدد فيزداد طوله. ولقد كانت الاستعارة بصورتها الشائقة التي رسمتها مخيلة الشاعر بما فيها من التعاقب والتتابع والتعقيد والمعاناة والثقل والألم معبرة عن المقصود أدق تعبير . كما أن المناسبة بين أجزاء الصورة من خلال استعارة الصلب لليل ، واستعارة التمطي لطوله ليلائم الصلب ، واستعارة الكلكل لأوائله ، والأعجاز لمآخيره([126]) ، كل هذا رسم صوره شاخصة حية لمعاناة الشاعر ، ومكابدته الهموم في هذا الليل الطويل!!! ولولم يكن لامرئ القيس من الاستعارة التي يعبر فيها

---

(١١٤) الإيضاح ٤٩/٣ ، وعلم البيان – دراسة تحليلية لمسائل البيان صـ ٤٣
(١١٥) البيت من المجتث ، ولا يعرف قائله كما في معاهد التنصيص ١٦٤/١
(١١٦) الإيضاح ٤٩/٣
(١١٧) البلاغة فنونها وأفنانها – علم البيان صـ ٥١
(١١٨) فن التشبيه ٢٠٠/١ وما بعدها ، ط مكتبة نهضة مصر ، ط ١، (١٩٥٢)م.
(١١٩) الإيضاح ٩٠/٣
(١٢٠) راجع تعريف الاستعارة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني عند بيانه للفرق بين الاستعارة والتشبيه في أسرار البلاغة صـ ٣٠ ، ٣٢٠ ، ط دار المدني ، (١٤١٢)هـ(١٩٩١)م.
(١٢١) الإيضاح ١٠٤/٣
(١٢٢) علم البيان – دراسة تحليلية لمسائل البيان صـ ٢٣١ وما بعدها .

(١٢٣) وهذا البيت قبله قوله : وليلٍ كَموجِ البحْرِ أرخَى سُدولَهُ عَليَّ بِأنواعِ الهُمومِ لِيبتَلِي
ومعنى تمطى : تمدد ، والصلب : عظم في الظهر ذو فقار يمتد من الكاهل إلى أسفل الظهر ، والأعجاز : جمع عجز ، وهو مؤخر الشيء أو الجسم ؛ فالصلب مستعار لوسط الليل ، والكلكل مستعار لمقدمه ، والأعجاز مستعارة للأجزاء الأخيرة منه ، وهذه هي الاستعارات التي جمع بينها وجعل من مجموعها استعارة واحدة. بغية الإيضاح ١١١/٣
(١٢٤) الإيضاح صـ٤٣٨ ، ودلائل الإعجاز صـ٧٩
(١٢٥ دلائل الإعجاز صـ٧٩
(١٢٦) الزوزني ، أبو عبد الله أحمد بن الحسين ، شرح المعلقات السبع صـ٢٩ ، ط الدار العالمية ، بيروت ،(١٩٩٣)م.

عن نفسه وهمومه إلا هذه الاستعارة لكفته . إن اجتماع هذه الاستعارات وتعددها في بيت الشاعر هو ما أكسبها رونقاً وجمالاً ، " وحقق غرض الشاعر من إبراز طول ليله ، ورسم صورة متكاملة بين ليله وليل الفرس ، ولذا صارت الاستعارات في البيت غريبة بعيدة"([١٢٧]).

الكناية : وهي ضرب من ضروب التوسع والتفنن لا إلى غاية على حد عبارة الشيخ عبد القاهر([١٢٨]) ، وقد عرفها بقوله : " أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجئ إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود ، فيومئ به إليه ، ويجعله دليلاً عليه . مثال ذلك قولهم : "هو طويل النجاد" : يريدون طويل القامة ، و"كثير رماد القدر" : يعنون كثير القرى ..."([١٢٩]) ، وعرفها ابن الأثير بـ " أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له كما كنى الله تعالى عن الجماع باللمس"([١٣٠]) ، ولقد أشار ابن الأثير وغيره من البلاغيين إلى دقة الكناية ولطف موقعها من البلاغة([١٣١]) ،كما ذكر الإمام عبد القاهر إجماع البلاغيين على " أن الكناية أبلغ من الإفصاح ، والتعريض أوقع من التصريح "([١٣٢])، كما بين صاحب الكشاف أن الكناية من شعب البلاغة ([١٣٣])، ومن ذلك : ما ذكره ابن أبي الإصبع حيث يقول : " هي عبارة عن تعبير المتكلم عن المعنى القبيح باللفظ الحسن ، وعن النجس بالطاهر ، وعن الفاحش بالعفيف ، هذا إذا قصد المتكلم نزاهة كلامه من العيب ، وقد يقصده بالكناية عن ذلك ، وهو أن يعبر عن الصعب بالسهل ، وعن البسط بالإيجاز ، أو يأتي للتعمية والإلغاز ، أو للستر والصيانة ..."([١٣٤]) . هذا ولقد ذكر البلاغيون فروقاً بين الكناية والتعريض ، فقال الزمخشري :" أن الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له، كقولك : طويل النجاد والحمائل لطويل القامة ، وكثير الرماد للمضياف .والتعريض : أن تذكر شيئاً تدل به على شيء لم تذكره ، كما يقول المحتاج للمحتاج إليه : جئتك لأسلم عليك ، ولأنظر إلى وجهك الكريم ، وكأنه إمالة للكلام إلى عرض يدل على الغرض ، ويسمى " التلويح " ؛ لأنه يلوح منه ما يريده "([١٣٥]) كما عرف ابن الأثير التعريض بأنه " اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم بالوضع الحقيقي والمجازي ، فإنك إذا قلت لمن تتوقع صلته ومعروفه بغير طلب: والله إني لمحتاج ، وليس في يدي شيء ، وأنا عريان والبرد قد آذاني ، فإن هذا وأشباهه تعريض بالطلب "([١٣٦]) .

وعرفها في " الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور" بقوله :" أن تذكر شيئاً يدل على شيء لم تذكره "([١٣٧]) " فالتعريض أن يريد المتكلم من كلامه شيئاً غير المدلول عليه بالتركيب وضعاً لمناسبة بين مدول الكلام وبين الشيء المقصود ، مع قرينة على إرادة المعنى التعريضي"([١٣٨]). كما ذكر البلاغيون للكناية أقساماً باعتبار المكني عليه ، وباعتبار الوسائط المتصلة بها ، فباعتبار المكني عليه تنقسم إلى :كناية عن صفة وكناية عن موصوف ، وكناية عن نسبة . وباعتبار الوسائط تنقسم إلى: التعريض ، والتلويح ، والإيماء ، والرمز ، والإشارة ([١٣٩]).

وليس من مضمون البحث أن أخوض في تفاصيل أقسام الكناية ، وإنما أردت بهذه المقدمة الموجزة حول تعريفها وبلاغتها وأقسامها أن أبين أثرها في التعبير عما يدور في نفس المتكلم ، وليتضح أن لجوء المتكلم إلى هذا الفن الدقيق المسلك مما يراه صاحب البيان معبراً عن مقاصده ومعناه .

إن الكناية والتعريض ببلاغتهما بابان من أبواب البلاغة ودرر الفصاحة يلجأ إليهما المتكلم حين يريد إخفاء المعنى وستره ، أو الدفع عن نفسه ، أو إخفاء ما يريد من شكوى وجزع ، أو نقد أو سؤال أو عتاب ومن هنا يلجأ إلى الكناية أو التعريض أو التلويح ليستر معناه ، ويخفي مغزاه لغرض يرى التعبير عنه لا يكون إلا من خلال الكناية وفنونها دون سواها من فنون البيان .

ولذلك يقول الثعالبي حول "التعريض" :"العرب تستعمل التعريض في كلامها كثيراً ، فتبلغ إرادتها بوجه هو ألطف وأحسن من الكشف والتصريح. ويعيبون الرجل إذا كان يكاشف في كل وجه، يقولون : فلان لا يحسن التعريض إلا ثلباً، وقد جعله الله في خطبة النساء جائزاً ، فقال : ﴿**وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ...**﴾ [البقرة :٢٣٥] ولم يُجزْ التصريح ، والتعريض في الخطبة أن يقول للمرأة : والله إنك لشابة ، ولعل الله أن يرزقك بعلاً صالحاً ، وإن النساء لمن حاجتي ، وأشباهه من الكلام"([١٤٠]).

وإذا انتقلنا إلى ما فاضت به قرائح الشعراء من روائع الكنايات التي يصورون فيها حالهم ، وما يدور في خلجات صدورهم يستوقفنا قول الشاعر([١٤١]) :

ولما رأيتُ النَّسرَ عزَّ ابنَ دأيَةٍ وعَشَّشَ في وكريْهِ جاشتْ لهُ نفسي([١٤٢])

---

(١٢٧) فيود ، بسيوني ، علم البيان ، صـ٢١٦ بتصرف يسير.
(١٢٨) دلائل الإعجاز صـ٦٦
(١٢٩) دلائل الإعجاز صـ٦٦
(١٣٠) ابن الأثير ، ضياء الدين ، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، صـ ١٥٦ ، ١٥٧ ، ط المجمع العلمي العراقي (١٣٧٥)هـ(١٩٥٦)م. تحقيق مصطفى جواد ، وجميل السعيد .
(١٣١) على سبيل المثال لا الحصر ابن أبي الإصبع ، زكي الدين عبد العظيم ، بديع القرآن صـ٥٣ ، ط نهضة مصر (١٩٥٧)م، تحقيق حفني محمد شرف.
(١٣٢) دلائل الإعجاز صـ٧٠
(١٣٣) الكشاف ٢٢٤/١ ، ط مكتبة العبيكان ، ط أولى (١٤١٨)هـ(١٩٩٨)م.
(١٣٤) بديع القرآن صـ٥٣
(١٣٥) الكشاف ٤٥٩/١
(١٣٦) المثل السائر ٥٦/٣
(١٣٧) الجامع الكبير صـ١٥٧
(١٣٨) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٤٥٠/٢
(١٣٩) الإيضاح ١٥١/٣ وما بعدها.
(١٤٠) الثعالبي ، عبد الملك ، النهاية في الكناية أو الكناية والتعريض صـ ١٦٧ باختصار ، ط دار قباء للطباعة والنشر ، القاهرة (١٩٩٧)م. تحقيق عائشة حسين فريد.
(١٤١) البيت لا يعرف قائله وجاء في ثمار القلوب صـ ٢٦٦ ، ط دار المعارف (١٣٨٤)هـ(١٩٦٥)م. واستشهد به الثعالبي في الكناية عن وخط الشيب صـ ١٣٥ .
(١٤٢النسر : طائر معروف وأقواه الأبيض ، وابن دأية : الغراب لأنه يقع على دأية البعير أي الدبر فينقرها ، والدأية : اسم لموضع القتب والرحل من ظهره فينقرها ، فنسب إليها لكثرة ما يرى عليها ، أو هي الفقار فهي تغذوه كما تغذو الأم . وابن دأية : كنية الغراب الأسود . وعشش في وكريه :

والبيت حافل بعدد من الصور التي تصور حالة من اضطراب الشاعر وغليان نفسه لظهور الشيب عليه ، والشكوى من انصرام الشباب وظهور الشيب ، وروعة الصورة هنا أن " النسر" جاء كناية عن الشيب ، "وابن دأية (الغراب) كناية عن الشباب"([١٤٣]) ، "والتعشيش "كناية عن حلول الشيب فيه "وجاشت "كناية عن ارتفاع الأنفاس والاضطراب، ولكن هل تقف الصورة عند حد الكناية مع هذا الإجمال اللفظي؟! لا ، لقد التحمت مع هذه الصورة الكنائية صورة استعارية غاية في الروعة والدقة .

فالشاعر أراد أن يعبر عن حزنه وألمه للشيب الذي وخطه وعلاه ، والبياض الذي كساه فغلب الشيب الشباب ، فوجد في النسر الأبيض في بياضه وسرعته صورة تظهر هذا الشيب وقد انتشر بسرعة في الرأس حلت محل السواد ، وغلبته على أمره كما يغلب النسر الأبيض بقوته الغراب الأسود .

إن السواد في شعر الرأس مثل له الشاعر بـ " الغراب " وهو ما يضرب به المثل في السواد ، ولك أن تتصور كيف انتشر البياض في السواد بسرعة وقوة آلمت الشاعر وأحزنته . إن النسر أقوى من الغراب وأسرع ولذلك قال : "عز([١٤٤]) ابن دأية" بمعنى غلبه وقهره ، ومنه العزة ؛ لأن العزيز من شأنه ذلك.

ولك أن تتصور هذه الملحمة والصراع بين النسر الذي يمثل الشعر الأبيض ، والغراب الذي يمثل الشعر الأسود ، وفي النهاية لنا أن نتوقع نتيجة هذا الصراع ، ولمن تكون الغلبة ؛ ولذلك قال الشاعر :" ...عز ابن دأية وعَشّشَ في وَكْرِيْهِ. واختار التعبير بـ" الوكرين" ليكمل معالم الصورة ؛" لأن الغراب له وكران : وكر في الصيف ، ووكر في الشتاء ([١٤٥])، والوكران هنا هما: الرأس واللحية، أو جانبي الرأس، أو جانبي اللحية، أو طرفا اللحية .

كما جاء التعبير بـ " التعشيش "كناية عن حلوله فيه ولقد جاء "التعشيش " في الوكرين ترشيحاً للاستعارة ، وقد يكون الشاعر أراد وصف الكهولة واختلاط الشعر الأبيض بالأسود وإحاطته بجانبيه . وأكمل معالم هذه الصورة الحية المعبرة عن نفس الشاعر وألمه وضيقه لانصرام الشباب وظهور الشيب في جوانبه واستيلائه عليه ؛ أكمل هذه الصورة الكناية في قوله " جاشت له نفسي" ، وهي صورة كنائية معبرة أدق تعبير عن حالة الاضطراب النفسي والبدني التي أصابت الشاعر لما ألم به . فـ "جاش" هنا من "جاشت " القدر إذا غلت ، وهي كناية تشير إلى ارتفاع الأنفاس والاضطراب في الصدر والغليان فيه . وما أروعها من صورة كنائية عبرت عن نفس الشاعر وما أصابه أدق تعبير .

لقد وصفت الكناية وصورت حالة الشاعر أدق تعبير ، وليست هي في ألفاظها مفردة بعيدة عن الصورة العامة وإنما في الربط بين أجزاء الصورة ، فإدراك سر الكناية ودورها في التعبير عن المعنى لا يكون إلا في إطار من الصورة العامة للبيت كله ، وكيف التحمت أجزاء الصورة واكتملت في تناسق دقيق([١٤٦]).

ومن روائع الكناية ودقائقها : قول الشاعر:

ومَا يَكُ فِيَّ مِنْ عَيْبٍ فَإِنِّي جَبَانُ الكَلْبِ مَهْزُولُ الفَصِيلِ ([١٤٧])

والشاعر هنا أراد أن يصف نفسه بالجود والكرم والسخاء ، ورأى أن الكناية هي وسيلته للتعبير عن الصفات التي أراد أن ينسبها إلى نفسه بطريق المبالغة في إثبات الكرم لنفسه ، والبيت فيه من دقائق الصنعة ، وطرائق إثبات المعاني بطريق المجاز ما فيه ، بل هو من فاخر الشعر على حد عبارة الإمام عبد القاهر حيث يقول :" فكما أنه من فاخر الشعر ، ومما يقع في الاختيار ([١٤٨]) لأجل انه أراد أن يذكر نفسه بالقرى، فكنّى عن ذلك بجُبن الكلب ، وهُزال الفصيل ، وترك أن يصرّح فيقول : قد عرف أن جنابي مألوف ، وكلبي مؤدَّب لا يَهِرُّ في وجوه من يغشاني من الأضياف ، وأني أنحر المتالي من إبلي ، وأدع فصالها هزلى" ([١٤٩]).

والكناية هنا من الكنايات البعيدة التي ينتقل منها إلى المطلوب بواسطة " فإنه ينتقل من جبن الكلب عن الهرير في وجه من يدنو من دار من هو بمرصد لأن يعس دونها ... إلى استمرار تأديبه ومن ذلك إلى استمرار موجب نباحه وهو اتصال مشاهدته وجوهاً إثر وجوه ، ومن ذلك إلى كونه مقصد أدانٍ وأقاصٍ ، ومن ذلك إلى أنه مشهور بحسن قرى الأضياف . وكذلك ينتقل من هزال الفصيل إلى فقد الأم ، ومنه إلى قوة الداعي إلى نحرها لكمال عناية العرب بالنوق لا سيما المتليات ، ومنها إلى صرفها إلى الطبائخ ، ومنها إلى أنه مضياف"([١٥٠]) ، وذكر أبو هلال العسكري في سر كناية البيت " يعني أن كلبه يضرب إذا نبح على الأضياف فيردف ذلك جبنه عن نبحهم ، وأن اللبن الذي يفصل به الفصيل يجعل للأضياف فيردف ذلك هزال الفصيل"([١٥١]). إن الرجل هنا قد اعتاد الكلب على كرمه من كثرة زواره ومريديه فلم يعد ينبح في وجوههم ، " فلقد تعود أن

التعشيش اتخاذ العش وهو الوكر ، وعش الطائر موضعه الذي يجمعه من دقاق العيدان وغيرها للتفريخ فيه ، وهو في أفنان الشجر ، فإذا كان في جبل أو جدار ونحوها فهو وكر و كن ، وقيل : الوكر : العش حيث كان في جبل أو شجر. وقيل الوكر ما يعده لحفظ البيض والفراخ ، والتعشيش كناية عن حلوله فيه.

(١٤٣) الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك ثمار القلوب صـــ٢٦٦ ، ط دار المعارف ، القاهرة ، (١٣٨٤)هـ(١٩٦٥)م ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، والنهاية في الكناية صـــ١٣٥

(١٤٤) في البيت روايتان "عز" بمعنى غلب وقهر ، و"غر " بمعنى خدع . والرواية الثانية في ثمار القلوب ، والنهاية في الكناية . والرواية الأولى عند صاحب الكشاف ٨٩/١

(١٤٥) شبه أسافل الرأس بوكر الشتاء ، وأعاليها بوكر الصيف.

(١٤٦)يراجع للاستزادة تفسير الكشاف ١٨٩/١ ، وحاشية شيخ زادة على البيضاوي ٣٠٧/١ ، ط دار الكتب العلمية ، ط أولى (١٤١٩)هـ(١٩٩٩)م ، وحاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوي ٣٦٠/١ ، ط دار صادر ، بيروت ، وحاشية القونوي على تفسير البيضاوي ٢٢٣/٢ ، ٢٢٤ ، ط دار الكتب العلمية ، ط أولى (١٤٢٢)هـ (٢٠٠١)م.

(١٤٧)البيت لا يعرف قائله ، وهو في الحيوان للجاحظ ٣٨٤/١ ، ط مصطفى البابي الحلبي ، ط ثانية (١٣٨٤)هـ(١٩٦٥)م وشرح الحماسة للتبريزي ٩٣/٤ ، ط عالم الكتب ، بيروت (١٢٩٦)هـ ، ودلائل الإعجاز صـــ ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، والإيضاح ١٥٤/٣

(١٤٨)يعني اختيار أبي تمام له في الحماسة ، والتعليق هنا لأبي فهر محمود شاكر محقق دلائل الإعجاز(رحمه الله).

(١٤٩)دلائل الإعجاز صـــ ٣٠٧ ، ٣٠٨

(١٥٠) الإيضاح ١٥٤/٣ باختصار.

(١٥١) الصناعتين صـــ ٣٥١

يسالم الطراق لئلا تتأذى به الضيوف إذا وردوا "([١٥٢]) فعبر الشاعر عن مدح نفسه بالكرم والجود والسخاء من خلال هذه الكناية البعيدة المتعددة الوسائط ، فلقد تعلم الكلب الجود والسخاء من صاحبه .كما أن فصيله مهزول لأن لبن أمه مصروف إلى الضيفان أو لأنها قد نحرت عن ولدها فضعف بسبب قلة الرضاعة . والتعبير بـ " مهزول الفصيل " "كناية عن كرم الرجل بأسلوب التلويح ، وقد توصلنا إلى صفة الكرم عبر الوسائط التالية : الفصيل ولد الناقة ، ولا يكون هزيلاً إلا إذا لم تنتج له فرص الرضاع من أطباء (أثداء) أمه الناقة ، وأمه الناقة لا ترضعه بسبب غيابها عنه غياباً أبدياً ، وغيابها الأبدي ناجم عن كون صاحبها قد نحرها لضيوفه لأن لحمها طري وشهي ، وفيه لذة للآكلين..."([١٥٣]) " فالبيت قد اجتمع فيه كنايتان الغرض منهما واحد ، وكل واحدة منهما أصل بنفسها "([١٥٤]) ؛ حيث أشارت إلى الكرم والجود والسخاء . والبيت بعد ذلك فيه فن من فنون البديع ، وهو تأكيد المدح بما يشبه الذم([١٥٥]) فإنه أوهم أن ما يأتي بعد الاستثناء سيكون صفة ذم فإذا به يأتي بصفة مدح ، وفيه من تأكيد المعنى وإثباته ما فيه ؛ حيث أكد صفة المدح لنفسه بأبلغ طريق ، وجمع في إثبات السخاء لنفسه بين فنيين من فنون البلاغة : الأول : الكناية البعيدة كثيرة الوسائط والتي تعد من التلويح ، وهي فن من فنون البيان . الثاني : تأكيد المدح بما يشبه الذم ، وهو فن من فنون البديع المعنوي يشتمل على إثبات صفة المدح له بطريق المبالغة ، ودعوى الشيء ببينة وبرهان ([١٥٦]).

ومن التعريض قول الحجاج يعرض بمن تقدمه من الأمراء:

لستُ براعي إبل ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضم ([١٥٧])

والوضم : الخشبة التي يقطع عليها الجزار اللحم ، فالحجاج هنا يريد أن يبين من خلال التعريض أنه شريف المحتد ، قوي الشكيمة ، وليس كمن تقدمه من الأمراء الذين لم تحنكهم التجارب ، ويحسنوا سياسة الأمور ، بل هو الخبير المجرب ، فيعرف كيف يصارع الأهوال ، ويجتاز الصعاب ، ويخوض التجارب ولا يخشى العواقب . فأصاب من خلال التعريض غرضه وهو أن يمدح نفسه دون أن يصرح باسم من ذكره من الأمراء . وبعد هذه الوقفات السريعة عند بلاغة المتكلم من خلال علم البيان وفنونه ، أنتقل إلى بلاغة المتكلم من خلال فنون البديع .

الفصل الثالث : بلاغة المتكلم من خلال مسائل علم البديع

ذكر الخطيب القزويني في تعريف علم البديع أنه " علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة "([١٥٨]) . وهذا التعريف فيه هضم وهدر لمنزلة هذا العلم ضمن صرح البلاغة العربية . فالمحققون على أن علم البديع ليس محسناً عرضياً ، أو ذيلاً من ذيول البلاغة ، بل هو من صميم البلاغة ، وقد يتجه إليه المتكلم لأنه يرى أنه لا يصلح غيره للتعبير عن المعنى المقصود ، ولا يمكن أداء المعنى في المقام إلا من خلال فن من فنونه . ويكفي أن هذا الفن موسوم بـ " البديع " الذي يعني " الجديد ، والمحدث العجيب ، والمخترع على غير مثال سابق..."([١٥٩]).

الطباق : وهو "الجمع بين المتضادين ، أي معنيين متقابلين في الجملة. ويكون ذلك إما بلفظين من نوع واحد : اسمين أو فعلين ، أو مختلفين ، أو حرفين"([١٦٠]) فالطباق أن يؤتى بالشيء وضده في الكلام ، وهذا النوع من فنون البديع المعنوي مما له أثر في السياق ، ويعد من صميم البلاغة ، وكما يقول عنه العلوي " واعلم أن هذا النوع من علم البديع متفق على صحة معناه ، وعلى تسميته بالتضاد والتكافؤ"([١٦١]) ، وقد سلكه الإمام عبد القاهر مع الاستعارة في ارتباطه بالمعنى ، فبعد أن بين أن الاستعارة ضرب من التشبيه ، ونمط من التمثيل قال : " وأما التطبيق فأمره بين ، وكونه معنوياً أجلى وأظهر ، فهو مقابلة الشيء بضده..."([١٦٢]) ، وقد سلكه ضياء الدين بن الأثير ضمن الصناعة المعنوية ، وبحثه تحت باب " التناسب في المعاني "([١٦٣]). ولست هنا بصدد الحديث عن أقسام الطباق التي ذكرها الخطيب القزويني ؛ لأن هذا خارج عن مقصود البحث ولا يضيف جديداً ، وإنما أقف فقط عند "بلاغة المتكلم" من خلال هذا الفن الدقيق حين يراه المتكلم وسيلته للتعبير عن نفسه ومقاصده ؛ حيث إن الطباق لا يقف عند مجرد الجمع بين الكلمات المتضادة في المعنى على أي نحو من الأنحاء ، بل يتجاوز الناحية اللفظية ليكون هو الفن الأمثل والأنسب للتعبير عن المعنى حيث لا يصلح غيره للتعبير عن الغرض والمقصد ([١٦٤]) ؛ ولذلك نقلت باختصار نظرة

---

(١٥٢) شرح ديوان الحماسة للتبريزي ٩٣/٤

(١٥٣) شيخ أمين ، بكري ، البلاغة في ثوبها الجديد ١٥٤/٢ ، ١٥٥ باختصار ، ط دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ٧ (٢٠٠١)م.

(١٥٤) الحلبي ، شهاب الدين ، حسن التوسل إلى صناعة الترسل ،صـ٢٧ ، ط المطبعة الوهبية ، مصر (١٢٩٨)هـ.

(١٥٥) وهو أن يستثنى من صفة ذم منفيه عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيها. الإيضاح ٥١/٤

(١٥٦) ينظر في بلاغته الإيضاح ٥١/٤

(١٥٧) البيت لرويشد أو رشيد بن رميض العنبري ، وقبله قوله:

هذا أوانُ الشد فاشتدي زيَم قد لفَّها الليلُ بسوَّاق حُطَمْ

وقد قال هذين البيتين في الحطم القيسي ، واسمه شريح بن ضبيعة ، وكان شريح قد غزا اليمن فغنم وسبى ، ثم أخذ على طريق مفازة فضل بهم دليلهم ثم هرب منهم ، وهلك منهم ناس كثير بالعطش ، وجعل الحطم يسوق بأصحابه سوقاً عنيفاً حتى نجوا ووردوا الماء فقال فيه رشيد الرجز مادحاً ، فلقب الحطم بما في الرجز. وقد تمثل الحجاج بالبيت الثاني في خطبته لما دخل العراق . البيان والتبيين ٣٠٨/٢ ، وابن حجة الحموي ، خزانة الأدب ٤٠٧/٢ ، ط دار ومكتبة الهلال ، لبنان ، ط ١ (١٩٨٧)م. تحقيق عصام شعيتو .

(١٥٨)بغية الإيضاح ٣/٤

(١٥٩)اللسان ٢٣٠/٣ ، مادة "بدع" ، ط دار المعارف ، بدون تاريخ ، أحمد مطلوب ، معجم المصطلحات البلاغة ،٣٧٨/١ ، ط مطبعة المجمع العلمي العراقي (١٤٠٣)ه(١٩٨٣)م،

(١٦٠)الإيضاح ٤/٤ ، ٥

(١٦١)العلوي ، يحيى بن حمزة ، الطراز ٣٧٧/٢ ، ط مطبعة المقتطف ، مصر (١٩١٤)م. هذا ولم يسم الطباق بـ " التكافؤ" أحد غير قدامة ، وغير النحاس . العمدة لابن رشيق ٥/٢ ، ط دار الجيل ، بيروت ، ط ٥ (١٤٠١)هـ (١٩٨١)م. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

(١٦٢) أسرار البلاغة صـــ ٢٠ باختصار.

(١٦٣) المثل السائر ١٤٣/٣

(١٦٤) فالجمع بين المتقابلين من الأمور الفطرية المركوزة في الطباع ، ولها تعلق وثيق ببلاغة الكلام ، وأثر في النفوس ، فما جاء طباق في الكلام إلا وتعلق به غرض من الأغراض لا يؤدى ذلك الغرض بدونه ، وهذا هو معنى الذاتية والأصالة التي تكلم عنها علماء البلاغة عندما أشاروا إلى أن مسائل التقديم والتأخير ، والذكر والحذف ، والتشبيه والاستعارة، وغير ذلك

البلاغيين إلى هذا الفن حيث ألمحوا إلى أنه من الصنعة المعنوية التي تتصل بالسياق وتأتي لمناسبة المعاني ، وتضرب بسهم وافر في بلاغة الكلام ، وليست مجرد ناحية لفظية لا ترتبط بالسياق والمقام .ولننتقل إلى بعض شواهد الطباق التي تعبر عن بلاغة المتكلم .

فمن ذلك قول البحتري:

يُقَيِّضُ لِي مِنْ حَيْثُ لَا أَعْلَمُ النَّوَى وَيَسْرِي إِلَيَّ الشَّوْقُ مِنْ حَيْثُ أَعْلَمُ

فالشاعر هنا عبر من خلال المطابقة عن حالة من حالات الاضطراب في مشاعر محبوبته ؛ حيث إن محبوبته قد تهجره بلا سبب يعلمه ، وهو على معرفة بمدى شوقه وحبه لها ، ونلمح هنا في طباق السلب([165]) الذي جاء بين "أعلم ، ولا أعلم " ضرب من الحيرة تعتري الشاعر حيث يعلم حقيقة حبه لمحبوبته ، ولا يعلم سر هجرها له ، وقد جاء الطباق معبراً عن هذه الحيرة التي يعاني منها الشاعر أدق تعبير ، وقد كشف عن هذه الحيرة والاضطراب قوله في الشطر الأول من البيت " يُقَيِّضُ لِي مِنْ حَيْثُ لَا أَعْلَمُ النَّوَى " فمعنى " يُقَيِّضُ" أي يهيأ ، و النَّوَى : الفراق " والمراد أنه يقيض له من حيث لا يعلم أسبابه ؛ لأن محبوبته تهجره بلا سبب أما الشوق فهو يعلم سببه ، وهو حبه لها "([166]) ، ومجئ الفعل في أول البيت بصيغة المجهول" يُقَيَّضُ" مما أسهم في رسم صورة الحيرة والاضطراب التي يعاني منها الشاعر ، فجاء طباق السلب هنا معبراً عن المعنى وعن حيرة الشاعر أتم تعبير([167]).

ومن روائع الطباق في نفس المعنى السابق : قول المتنبي :

كَأَنَّ سُهَادَ اللَّيلِ يَعْشَقُ مُقْلَتِي فَبَيْنَهُمَا فِي كُلِّ هَجْرٍ لَنَا وَصْلُ

وهذا البيت مما استعذبه ابن الأثير للمتنبي في الطباق([168]) ، ونلمح من خلاله كيف جاء الطباق جامعاً ومصوراً لحالة الشاعر العاطفية مع محبوبته ، وذلك في الشطر الثاني من البيت ، وهو قوله : "فَبَيْنَهُمَا فِي كُلِّ هَجْرٍ لَنَا وَصْلُ " فالشاعر هنا قد خاصم النوم عينه ، وشغله السهاد "وهو الأرق ، فيواصل السهاد عينه لفقد من يحب " ([169])" والضمير في "بينهما" للسهاد والمقلة" فهو يقول : " إذا تهاجرنا واصل السهاد عيني ، أي لم أنم وجداً لفقد من أحبه"([170]) ، وطباق الإيجاب هنا جاء بين "هجر ووصل " حيث صور الطباق هنا حالة الشاعر وأرقه ، وهذا الصراع والتخاصم بين الأرق والمقلة ، فجاء مصوراً ومشخصاً لحالة الاضطراب والقلق التي يعاني منها الشاعر لهجر محبوبته . ومن روائع الطباق أيضاً قول الحُصين بن حُمام المري:

تَأَخرتُ أَسْتَبْقِي الحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنفْسِي حَيَاةً مِثلَ أَنْ أَتَقَدَّمَا([171])

والشاعر هنا يصور من خلال الطباق أن الشجاعة والإقدام هما أفضل للمرء من الجبن والإحجام ، فهو لم يجد أفضل لحياته من الشجاعة بديلاً عن التردد والجبن ، فحيثما تردد الإنسان طمع فيه الأعداء ، فهو يريد أن يقول :" لما تأخرت طمع فيَّ العدو وتصور فيَّ الجبن فاجترأ عليَّ . والقتل إلى الجبان أسرع ؛ لأن كل أحد يطمع فيه ، وقيل : إن الجبان حتفه من فوقه ، فتقدمتُ فكان التقدم أنجا لي . والعرب تقول : الشجاع موقى ، أي تتهيبه الأقران فيتحامونه فيكون ذلك وقاية له . ويجوز أن يكون المعنى : أحجمت مستبقياً لعيشي فلم أجد لنفسي عيشاً كما يكون في الإقدام ؛ وذلك أن الأحدوثة الجميلة إنما تكون بالتقدم لا بالتأخر"([172]) . ولقد جاء طباق الإيجاب في أول البيت وآخره " تَأَخرتُ ، و أَتَقَدَّمَا " مصوراً لهذا الصراع النفسي عند الشاعر بين التأخر والتقدم ، وهذا التردد بين الشجاعة والجبن ، فطباق الإيجاب بين الفعلين مما عبر عن نفس المتكلم أدق تعبير ([173]).

التجريد : وحده عند التحقيق ([174]) ما ذكره ضياء الدين بن الأثير :" إخلاص الخطاب لغيرك ، وأنت تريد به نفسك ؛ لأن أصله في وضع اللغة من " جردت السيف" إذا نزعته من غمده"([175]) " وذكر العلوي "أنه قد يطلق على إخلاص الخطاب على نفسك خاصة دون غيرها"([176]). والتجريد من محاسن علوم البيان ولطائفه ، وقد استعمل على ألسنة الفصحاء كما قال العلوي([177]) ، وذكر ابن الأثير أن له فائدتين : "إحداهما أبلغ من الأخرى . فالأولى : طلب التوسع في الكلام ، فإنه إن كان ظاهره خطاباً لغيرك ، وباطنه خطاباً لنفسك ، فإن ذلك من باب التوسع ، وأظن أنه شيء اختصت به اللغة العربية دون غيرها من اللغات. والفائدة الثانية : وهي الأبلغ ، وذاك أنه يتمكن المخاطب من إجراء الأوصاف المقصودة من مدح أو غيره على نفسه ، إذ يكون مخاطباً به غيره ليكون أعذر وأبرأ من العهدة فيما يقوله غير محجور عليه"([178]) كما أن التجريد على حد تعريف الخطيب : " أن ينتزع من أمر ذي صفة أمر آخر مثله في

من ألوان علمي المعاني والبيان لها مدخل في بلاغة الكلام ؛ لأنها حسنها ذاتي أصيل . عيد ، فوزي السيد عبد ربه ، الفنون البديعية في دائرة البحث البلاغي ، صـــ ٥٤ ، ط مطبعة الحسين الإسلامية ، القاهرة ، ط١ ، (١٤٠٨)هـ(١٩٨٨)م.

([165]) وهو الجمع بين فعلي مصدر واحد ، مثبت ومنفي ، أو أمر ونهي. الإيضاح ٧/٤

([166]) بغية الإيضاح ٧/٤

([167]) وينظر أمثلة أخرى للطباق في الإيضاح ٥/٤

([168]) المثل السائر ١٥٠/٣

([169]) العكبري ، أبو البقاء ، شرح ديوان المتنبي ١٨٣/٣ ، ط دار المعرفة ، بيروت. تحقيق مصطفى السقا ، وإبراهيم الأبياري ، وعبد الحفيظ شلبي .

([170]) البرقوقي ، عبد الرحمن ، شرح ديوان المتنبي ٣٠٠/٣، ط دار الكتاب العربي ، بيروت (١٤٠٧)هـ(١٩٨٦)م.

([171]) ذكر أبو هلال العسكري هذا البيت ضمن أمثلة الطباق . الصناعتين صـــ ٣١١

([172]) اليسوعي ، لويس شيخو ، شعراء النصرانية ، صـــ٧٤١ ، ط مطبعة الآباء المرسلين ، بيروت (١٨٩١)م.

([173]) وينظر في بلاغة الطباق عند المتكلم . علام ، عبد الواحد ، البديع المصطلح والقيمة للدكتور صـــ١٥١ وما بعدها ، ط مكتبة الشباب (١٩٩٢)م ، وتعليقه على بلاغة الطباق في قول المتنبي: عيد بأي حال عدت يا عيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد

([174]) نقلت هنا تعريف ابن الأثير لفن التجريد حيث رأيته يشير إلى بلاغة هذا الفن ، فكان تعريفه له أدل على المقصود ، ولقد ذكره ضمن الصناعة المعنوية في كتابه المثل السائر .

([175]) المثل السائر ١٥٩/٢

([176]) الطراز ٧٣/٣

([177]) الطراز ٧٣/٣

([178]) المثل السائر ١٥٩/٢

تلك الصفة مبالغة في كمالها فيه"([179]) " وفيه تفنن في الأسلوب كالالتفات لتقاربها ، وإن كان مبنى الالتفات على اتحاد المعنى ، ومعنى التجريد على التغاير بينهما بحسب الاعتبار ، وقد يجتمعان في الكلام ، وقد يفترقان... "([180]).

أقسام التجريد: ذكر ابن الأثير أن التجريد ينقسم إلى قسمين: أحدهما : تجريد محض . والآخر : تجريد غير محض .فالأول وهو المحض : أن تأتي بكلام هو خطاب لغيرك ، وأنت تريد به نفسك ، وذلك كقول بعض المتأخرين ، وهو الشاعر المعروف بالحيص بيص ([181])في مطلع قصيدة له :

إلَامَ يَرَاكَ الجِدُّ فِي زِيِّ شَاعِرٍ ... وقد نَحَلتْ شوقاً فروعُ المنابرِ
كَتَمتَ بعَيْبِ الشِّعْرِ جِلْماً وحِكْمَةً ... بَعضها يَنْقَادُ صَعبُ المفاخِرِ
أمَا وأبيكَ الخَيرَ إنَّكَ فارِسُ المقَالِ ... ومَحْيِي الدَّارساتِ الغوابرِ
وإنَّكَ أغْيَتْ المسَامِعَ والنُّهَى ... بقولك عما في بطونِ الدَّفَاترِ

فهذا من محاسن التجريد ، ألا ترى أنه أجرى الخطاب على غيره ، وهو يريد نفسه ، كي يتمكن من ذكر ما ذكر من الصفات الفائقة ، وعدِّ ما عدَّه من الفضائل التائهة. وأما القسم الثاني : وهو غير المحض : فهو خطاب لنفسك لا لغيرك ... وبين هذا القسم والذي قبله فرق ظاهر ، وذاك أولى بأن يسمى تجريداً ؛ لأن التجريد لائق به ، وهذا هو نصف تجريد ؛ لأنك لم تجرد به عن نفسك شيئاً ، وإنما خاطبت نفسك بنفسك .كأنك فصلتها عنك وهي منك . فمما جاء منه قول عمرو بن الإطنابة([182]):

أقَوْلُ لهَا وقد جَشأتْ وجَاشَتْ ... مَكَانَكِ تُحْمِدِي أو تَسْتَرِيحِي([183])

ويلحظ من خلال كلام ابن الأثير أن فن " التجريد " في نوعه الأول : أي "المحض" هو من أقوى الأساليب البلاغية التي يعبر بها الشاعر أو المتكلم عن نفسه ، فيبرز من خلال هذا الفن ما يريد أن ينسبه إلى نفسه من مدح أو فخر ، أو يعبر عن رغبة في الشر أو الانتقام ، أو رغبة في الهجاء ، أو تعبير عن ندم لفوات محبوب أو مرغوب، أو لوم للنفس على أمر من الأمور دون أن ينسب ذلك إلى نفسه بطريق صريح . فهو فن تتراحب فيه مقاصد المتكلمين ، وملجأ يلوذون به ليعبروا عما تجيش به نفوسهم ، ولا يريدون أن ينسبوه إلى نفوسهم بالشكل الصريح . فالمتكلم في هذا النوع يجرد من نفسه نفساً فيخاطبها كأنها غيره " وفائدة ذلك : التمكن من نسبة الذم أو المدح أو غيرهما إلى نفسك مما يقبح أن تنسبه إليها"([184]). ومما جاء خطاباً للنفس على سبيل المواساة ، وهو من النوع الثاني "غير المحض" : قول أعرابي قتل أخوه ابناً له :

أقول للنفس تأساءً وتَعْزِيةً ... إحدى يديَّ أصَابتْنِي ولم تُرِدِ([185])

" والمعنى : أي أقول متأسياً بغيري ، ومسلياً لنفسي : جنى عليّ أخي الذي محله مني محل إحدى يديَّ ، سهواً لا إرادة لمساءتي ، وخطأً لا عمداً"([186]). "فالتجريد هنا تجريد من النوع الثاني الذي عبر فيه الشاعر عن نفسه موجهاً خطابه إليها خطاباً مباشراً ، وهو على حد تقسيم ابن الأثير يعد نصف تجريد ، فالشاعر هنا لم يجرد عن نفسه شيئاً ، وإنما خاطب نفسه بنفسه ،كأنه فصلها عنه وهي منه" ([187]) ، يقول ابن الأثير حول البيت السابق :" وليس في هذا ما يصلح أن يكون خطاباً لغيرك كالأول . وإنما المخاطب هو المخاطب بعينه وليس ثم شيء خارج عنه"([188]). ومما جاء من التجريد بطريق الكناية من النوع الأول : أي التجريد "المحض" ، وهو من أبلغ أنواع التجريد : قول الحماسي:

فَلَئِنْ بَقِيتُ لأَرحلنَّ بِغزوةٍ ... تَحوِي الغَنائِمَ أَو يَموتَ كَرِيمُ([189])

فالشاعر هنا يريد أن يمدح نفسه بالكرم والسخاء بطريق المبالغة دون أن يشير إلى نفسه بطريق صريح ، فوجد في التجريد غايته للتعبير عن كرمه بطريق الكناية ، حيث جرد من نفسه شخصاً نسب إليه ما يريد من الكرم. وفي ذلك يقول العباسي :" عنى بالكريم نفسه ، فكأنه انتزع من نفسه كريماً مبالغة في كرمه ، ولذلك لم يقل : أو أموت"([190]).

هذا وأمثلة التجريد كثيرة ، ولقد ذكر الخطيب بعضاً منها ، كما ذكر ابن الأثير أيضاً بعض الأمثلة من القسمين السابقين ، وفي الإشارة إلى بلاغة هذا الفن كمقصد من مقاصد المتكلمين كفاية ([191]). وأنتقل إلى فن آخر من فنون البديع وهو " التورية ".

التورية: وهي فن من روائع البديع تتشابك غصونه مع أكثر من فن من فنون البيان ، ولقد تعددت أسماؤه عند البلاغيين لشرفه وخصائصه التي يشتمل عليها ." فيقال له التورية ، ويقال له : الإيهام

---

(١٧٩) نحو قولهم : " لي من فلان صديق حميم " أي بلغ من الصداقة مبلغاً صح معه أن يستخلص منه صديق آخر . الإيضاح ٣٨/٤

(١٨٠) بغية الإيضاح ٣٨/٤ ، ٣٩ باختصار .

(١٨١) هو أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد بن صيفي التميمي ، الملقب شهاب الدين ، المعروف بـ حيص بيص ، وقيل له اللقب الأخير لأنه رأى الناس مرة في حركة مزعجة وأمر شديد ، فقال : ما للناس في حيص بيص ؟ أي في شدة واختلاط ، فغلب عليه هذا اللقب ، توفي سنة ٥٧٤ هـ ببغداد، ودفن في الجانب الغربي في مقابر قريش .

(١٨٢) هو عمرو بن الإطنابة أحد بني الخزرج ، ومعنى الإطنابة : المظلة ، واسم أم عمرو هذا ، وهو أحد من ملك الحجاز في الجاهلية ، وكان شاعراً مجيداً. وأول الأبيات قوله :
أبت لي عفتي وأبى بلائي ... وأخذي الحمد بالثمن الربيح
ومعنى جشأت نفسه (مهموز) وجاشت (غير مهموز) : ارتفعت ونهضت من خوف او فزع . ونظر مناسبة الأبيات وتخريجها في الحماسة البصرية ، البصري ، أبو الفرج بن الحسن ٨/١ ، ط مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط أولى (١٤٢٠)هـ(١٩٩٩)م.

(١٨٣) المثل السائر ١٦٠/٢-١٦٣ باختصار شديد.

(١٨٤) ابن قرقماس ، زهر الربيع في شواهد البديع ، صـــ١٨٢ ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، (١٤٢٨)(٢٠٠٧)م. تحقيق مهدي عرار

(١٨٥) أحد بيتين اختارهما أبو تمام في ديوان الحماسة ، ونسبهما إلى أعرابي قتل أخوه ابناً له ، والبيت الآخر:
كلاهما خلف من فقد صاحبه ... هذا اخي حين أدعوه وهذا ولدي
والتأساء : ما يؤتسى به من الحزن . والتعزية : حسن الصبر . وقوله "إحدى يدي أصابتني " أجراه على المثل والمجاز ، والمعنى : أناجي نفسي بهذا القول طلباً للتأسي وحسن الصبر . المثل السائر ١٦٤/٢

(١٨٦) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٢٠٧/١

(١٨٧) المثل السائر ١٦٣/٢ ، ١٦٤باختصار وتصرف .

(١٨٨) المثل السائر ١٦٤/٢

(١٨٩) البيت لقتادة بن مسلم الحنفي من قصيدة من الكامل أولها:
بكرت عليّ من السفاة تلومني ... سفها تعجز بعلها وتلوم
لما رأتني قد رزأت فوارسي ... وبدت بجسمي نهكة وكلوم.

(١٩٠) معاهد التنصيص ٢٥٣/١ ، ويراجع بغية الإيضاح ٤٠/٤

(١٩١) ينظر المثل السائر ١٥٩/٢-١٦٩ ، والإيضاح٣٨/٤-٤١ .

، والتوجيه ، والتخييل ، والتخيير ، والإبهام ، والمغالطة ، وبعض المؤلفين جعل الأحجية والألغاز فرع من هذا الفن"([192]) .

وأولى الأسماء بها هو "التورية" لدلالته على المقصود منها " فهي مصدر وريت الخبر تورية : إذا سترته وأظهرت غيره كأنه مأخوذ من وراء الإنسان ، كأن المتكلم يجعله وراءه بحيث لا يظهر ، وفي الاصطلاح :أن يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان حقيقيان أو حقيقة ومجاز ، أحدهما قريب ، أي دلالة اللفظ عليه ظاهرة بحسب العرف ، والآخر بعيد ، أي دلالة اللفظ عليه خفية ، فيريد المتكلم المعنى البعيد ، ويوري عنه بالمعنى القريب ؛ أي يستره ، كأنه جعل المعنى البعيد وراء القريب ، فيتوهم السامع أول وهلة أنه يريد القريب وليس كذلك ، ولأجل هذا سمي هذا النوع إيهاماً"([193]) .

ولقد سلكها ابن رشيق في الكناية ([194]) ، ورأى نجم الدين بن الأثير الحلبي أنه لا فرق بين التورية والكناية([195])، ورأى ضياء الدين بن الأثير أنها من أحلى ما استعمل في الكلام وألطفه ([196]) ، ورأى ابن حجة الحموي أن سموها في البلاغة سمو الذهب على العين [ما ضرب نقداً من الدنانير]، ورأى الزمخشري " أنه لا يرى في البيان باباً أدق ولا ألطف من هذا الباب ، ولا أنفع ولا أعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله تعالى ، وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم ، وكلام صحابته رضي الله عنهم"([197]).

ولقد ذكر لها البلاغيون تقسيمات كثيرة ، فذكر الخطيب أنها تنقسم إلى مجردة ومرشحة ، وذكر ابن قرقماس أنها أربعة أنواع تنقسم إلى تسعة أقسام ، وتوسع ابن حجة الحموي في تقسيمها وفي سرد أمثلتها إلى ما يقرب من ربع كتابه خزانة الأدب ([198]) ، بل وأفرد لها مؤلفاً خاصاً سماه "كشف اللثام عن التورية والاستخدام "، وكذلك فعل ابن معصوم في أنوار الربيع حيث أفرد لها مائة وثلاث عشرة صفحة ، كما ألف صلاح الدين الصفدي كتاباً سماه "فض الختام عن التورية والاستخدام" إلى غير ذلك مما كتب البلاغيون حول هذا الفن الرائع من فنون البلاغة([199]).

ولن أدخل هنا في أقسام التورية ، ولا في كلام علماء البديع أو أصحاب البديعيات حولها ، فهذا خارج عن نطاق البحث ، فضلاً عن كثرته واتساعه ، وإنما ألفت النظر إلى بلاغتها ، وأهميتها لدى المتكلم ليعبر من خلالها عن نفسه ، فهذا الفن من فنون البلاغة هو وسيلة للمتكلم ليعبر به عما لا يرغب في التصريح به لغرض من الأغراض ، فالتورية كما يلاحظ في معناها اللغوي ومضمونها هي ستر للمعنى وإخفاء له ، فالمعنى الحقيقي القريب إنما هو ستار للمعنى الخفي البعيد المراد الذي يريده المتكلم ، وهذا الستر والإخفاء للمعنى إنما يكون لغرض بلاغي يقتضيه المقام والسياق ، "وسواء أكانت القرينة في التورية لفظية أو عقلية فلابد أن تكون خفية تعتمد على إعمال الذهن ، وإدارة الخاطر"([200]).

فالتورية فيها إخفاء للمعنى المراد وستر له لغرض من الأغراض التي تختلف باختلاف السياق والمقام مع وجود القرينة الخفية([201]) التي تشير إلى المعنى المقصود .

وأمثلة التورية كثيرة جداً ، ولقد توسع فيها المتأخرون أمثال : القاضي الفاضل ، وابن سناء الملك ، والنصير الحَمَّامي ، وغيرهم ، وأفتنوا فيها وأبدعوا ، ووصل الأمر إلى حد الإسراف والتكلف عند بعضهم ([202]).

ومن أمثلة التورية التي تشير إلى بلاغة المتكلم ، ويتحدث فيها ابن قرقماس عن نفسه شاكياً من أهل الزمان ،وعدم حفظهم لعهده وغدرهم ، ومشيراً إلى اجتهاده وتحقيق آماله على الرغم من غدر أهل الزمان :

لقد حَفِظَت بنُو الأيامِ عَهْدِي كَحِفْظِ الريحِ أجزاءَ الرمادِ
وكَمْ عَيـــــنٍ صَرفتُها فكانت مُساعدةً على نَيْلِ المرادِ

فالشاعر هنا يشير بالتورية إلى تحقيق آماله وطموحاته بعد غدر أهل الزمان وخيانتهم له ، ولقد عبر عن تحقيق غرضه وطموحاته بلفظة " عين " التي جاءت في البيت الثاني ، فمعناها القريب هو " العين الجارحة " ، أما معناه البعيد المقصود فهو عين الذهب ، ولقد ذكر من لوازمه الصرف في قوله "صرفناها " ، ولم يذكر من لوازم المعنى القريب شيئاً ، والتورية هنا من التورية المبينة التي ذكر لوازم المورى عنه أي المعنى البعيد بعدها ، فجاءت هنا معبرة عن غرض الشاعر.

ومن ذلك قول ابن قرقماس في النسيب ، وذكر المحبوب:

ولمّا هاجَ لي تِذْكارُ لَيْلى وأكْنافُ الحجازِ سَنَا البُرُوقِ
تبَسَّم بَغتةً لَيلاً فَلاحتْ ثَنِيّاتُ العُذَيْبِ لدى العَقيقِ([203])

والشاهد هنا في البيت الثاني في ثلاثة ألفاظ ، وهي " الثنيات ، والعذيب ، والعقيق" فيحتمل أن تكون الأماكن الثلاثة من أودية الحجاز ، وهو المعنى القريب المورَّى به ، ولم يذكر له قرينة تدل عليه . أما المعنى البعيد المورَّى عنه وهو المراد فالمراد بـ " الثنيات " ثنيات الثغر ، و" العُذيب " هو الريق ، " والعقيق " حمرة الشفتين " ، ولقد ذكر التبسم قبل التورية هنا كقرينة تدل عليها ، وهي من التورية المبينة ، وقد عبر الشاعر من خلالها عن غرضه من النسيب ، وذكر مفاتن محبوبته التي لم يصرح بها ، ولقد ساعدته التورية على

---

(١٩٢) مفتاح العلوم صـــ ٤٢٧ ، والإيضاح ٢٥/٤ ، والمثل السائر ٧٦/٣ ، وتحرير التحبير صـــ٢٧٦ ، و زهر الربيع في شواهد البديع صـــ١٥٥، وخزانة الأدب ٣٩/٢ ، وغيرها من كتب البلاغة .

(١٩٣) زهر الربيع صـــ١٥٥

(١٩٤) العمدة ٣١١/١

(١٩٥) جوهر الكنز صـــ١١١

(١٩٦) المثل السائر ٧٦/٣

(١٩٧) خزانة الأدب ٤٣/٢

(١٩٨) حزانة الادب ٣٩/٢-٢٥٢

(١٩٩) البلاغة في ثوبها الجديد ٨٨/٣-٩٠ باختصار شديد.

(٢٠٠) الفنون البديعية في دائرة البحث البلاغي صـــ١٥٩

(٢٠١) لأنه لو كانت القرينة ظاهرة لم يكن اللفظ تورية ، وبهذا تمتاز عن المجاز والكناية. بغية الإيضاح ٢٥/٤ ، والفنون البديعية في دائرة البحث البلاغي صـــ١٦٠،١٥٩

(٢٠٢) ينظر خزانة الأدب ٤٢/٢-٢٥٢ ، وكشف اللثام عن التورية والاستخدام له أيضاً ، ط المطبعة الأنسية ، بيروت (١٢١٢)هـ.

(٢) زهر الربيع في شواهد البديع صـــ ١٥٩

تحقيق غرضه من هذا النسيب والتشبيب. هذا وأمثلة التورية التي تشير إلى مقاصد وبلاغة المتكلمين كثيرة جداً ، ويضيق المقام عن تفصيلها ، وفي الإشارة إليها كفاية([٢٠٤]).

وإلى هنا أمسك عنان القلم ، وأسأل الله أن أكون قد وفقت في الإشارة إلى بلاغة المتكلم من خلال بعض فنون البلاغة ومسائلها ليتضح أن بياننا العربي لم يغفل جانب المتكلم كما لم يهمل جانب المخاطب.

والله من وراء القصد ، وهو حسبي وغايتي

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم

نتائج البحث

اتضح من خلال البحث ما يلي :

١. أن البلاغة العربية ليست بلاغة مخاطب فحسب ، بل هي بلاغة للمتكلم أيضاً ، فقد يكون الغرض من بيان المتكلم الحديث عن نفسه وما يدور في صدره ، والوصف والتصوير لحاله ..إلى غير ذلك من الأغراض التي تختلف باختلاف السياق والمقام .

٢. اتضح أيضاً من خلال البحث أن بلاغة المتكلم وحديثه عن نفسه أمر مستقر في مسائل البلاغة ومباحثها وفنونها ، وذلك من خلال الأمثلة القديمة والحديثة التي اتجه إليها البحث بالاختيار والتحليل .

٣. كما اتضح إشارة البلاغيين القدماء إلى هذه الناحية في بعض مسائل البلاغة ، وفي تحليل الشواهد والنصوص : كما في أغراض الخبر ، وغيرها .

٤. ولقد اتضح من خلال التحليل الأدبي للنصوص المختارة وجود هذا البيان عن المتكلم وحاله في فنون البلاغة المختلفة ، وهذا مما يضاف إلى رصيد بلاغتنا العربية و يدل على سعتها وإلمامها بالمقاصد والأغراض التي تشمل المتكلم والمخاطب.

المراجع

- القرآن الكريم
- (ابن الأثير) ضياء الدين أبو الفتح مُحَمَّد بن مُحَمَّد الجزري ت (٦٣٧)هـ - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر- تحقيق د/ أحمد الحوفي - ود / بدوي طبانة - ط دار نهضة مصر - الفجالة - ط ثانية .
- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور – تحقيق الدكتور / مصطفى جواد ، والدكتور/ جميل سعيد - ط المجمع العلمي العراقي – العراق - (١٣٧٥)هـ(١٩٥٦)م.
- (ابن الأثير الحلبي) نجم الدين أحمد بن إسماعيل ت (٧٣٧) هـ -
- جوهر الكنز - تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي اليراعة - تحقيق الأستاذ الدكتور / مُحَمَّد زغلول سلام -ط منشأة المعارف بالإسكندرية –(١٩٨٠)م.
- (ابن أبي الإصبع) أبو مُحَمَّد زكي الدين عبد العظيم ت (٦٥٤)هـ- بديع القرآن -ط نهضة مصر - (١٩٥٧)م – تحقيق الأستاذ الدكتور/ حفني شرف.
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن – تحقيق الدكتور/ حفني شرف – ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – القاهرة .
- ٤- (أمين) بكري شيخ - البلاغة في ثوبها الجديد - ط دار العلم للملايين - بيروت - ط سابعة -(٢٠٠١)م.
- ٥- (البرقوقي) عبد الرحمن – شرح ديوان المتنبي – ط دار الكتاب العربي – بيروت – (١٤٠٧)هـ (١٩٨٦).
- ٦- (البصري) أبو الفرج بن الحسن ت(٦٥٦)هـ - الحماسة البصرية – تحقيق الدكتور/ عادل سليمان جمال - ط مكتبة الخانجي - القاهرة -ط أولى - (١٤٢٠)هـ(١٩٩٩)م.
- ٧- (البيضاوي) ناصر الدين عبد الله بن مُحَمَّد الشيرازي ت (٦٩١)هـ -تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل - تحقيق الأستاذ /مُحَمَّد عبد الرحمن المرعشلي - ط دار الكتب العلمية ، بيروت - ط أولى - (١٤٢٢)هـ(٢٠٠١)م.

(٢) ينظر على سبيل المثال خزانة الأدب ٢/٤٢-٢٥٢ ، وكشف اللثام عن التورية والاستخدام ، وجوهر الكنز صـــ١١١ وما بعدها ، وزهر الربيع صـــ ١٥٦ وما بعدها .

- ٨- (التفتازاني) سعد الدين مسعود بن عمر ت (٧٩١هـ - المطول شرح تلخيص المفتاح -ط مطبعة محرم البوسنوي - (١٣١٠) هـ .

- ٩- (الثعالبي) أبو منصور عبد الملك بن إسماعيل ت(٤٢٩)هـ - النهاية في الكناية أو الكناية والتعريض – تحقيق الدكتورة/ عائشة حسين فريد - ط دار قباء للطباعة والنشر - القاهرة - (١٩٩٧)م.

- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب – تحقيق الأستاذ / أبي الفضل إبراهيم - ط دار المعارف - القاهرة - (١٣٨٤)هـ(١٩٦٥)م.

- ١٠- (الجاحظ) أبو عثمان عمرو بن بحر ت (٢٥٥) هـ - البيان والتبيين - تحقيق الأستاذ/ عبد السلام هارون - ط دار الجيل – بيروت -(١٤١٠) هـ (١٩٩٠) م.

- الحيوان - تحقيق الأستاذ / عبد السلام هارون- ط مصطفى البابي الحلبي -ط ثانية (١٣٨٤)هـ(١٩٦٥)م .

- ١١- (الجرجاني) عبد القاهر ت (٤٧١) هـ -أسرار البلاغة - تحقيق العلامة/ محمود شاكر- طبعة دار المدني بجدة - (١٤١٢) هـ (١٩٩١) م.

- دلائل الإعجاز- تحقيق العلامة/ محمود شاكر - طبعة مكتبة الخانجي – القاهرة - ط خامسة (٢٠٠٤)م.

- ١٢- (الجندي) علي - فن التشبيه - ط مكتبة نهضة مصر – القاهرة - ط أولى - (١٩٥٢)م.

- ١٣- (الحلبي) محمود بن سليمان ت (٧٣٥)هـ - حسن التوسل إلى صناعة الترسل -ط المطبعة الوهبية – مصر- (١٢٩٨)هـ.

- ١٤- (ابن حمدون) مُحَمَّد بن الحسن بن علي ت (٥٦٢)هـ -التذكرة الحمدونية - تحقيق الأستاذ الدكتور / إحسان عباس ، والأستاذ / بكر عباس - ط دار صادر - بيروت - ط أولى (١٩٩٦)م.

- ١٥- (الحموي) تقي الدين أبو بكر على ابن حجة ت (٨٣٧) هـ -خزانة الأدب وغاية الأرب -تحقيق الأستاذ / عصام شعيتو -ط دار ومكتبة الهلال - بيروت -ط ثانية - (١٩٩١)م .

- كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام - ط المطبعة الأنسية - بيروت -(١٢١٢)هـ

- ١٦- (الخطيب التبريزي) أبو زكريا يحيى بن علي ت(٥٠٢)هـ - مشكاة المصابيح - ط مكتبة نزار- مكة المكرمة - ط أولى - (١٤١٧)هـ(١٩٩٧)م.

- شرح القصائد العشر- ط دار الطباعة المنيرية – القاهرة - ط ثانية - (١٣٥٢)هـ.

- ١٧- (الخطيب القزويني) جلال الدين مُحَمَّد بن عبد الرحمن ت (٧٣٩) هـ -الإيضاح لتلخيص المفتاح - تحقيق الأستاذ/ عبد المتعال الصعيدي -ط مكتبة الآداب - (١٤١٧)هـ (١٩٩٧) م.

- ١٨- (الرماني) أبو الحسن علي بن عيسى ت (٢٩٦) هـ- النكت في إعجاز القرآن - ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن – تحقيق الأستاذ / مُحَمَّد خلف الله ، والدكتور زغلول سلام - ط دار المعارف - القاهرة - ط ثانية - (١٣٨٧) هـ (١٩٦٨) م .

- ١٩- (الزمخشري) جار الله أبو القاسم مُحَمَّد بن عمر ت (٥٣٨) هـ -الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - تحقيق الأستاذ / عادل عبد الموجود ، وعلي معوض – ط مكتبة العبيكان – الرياض - ط أولى – (١٤١٨) هـ (١٩٩٨) م.

- ٢٠- (الزوزني) أبو عبد الله أحمد بن الحسين ت (٤٩٦)هـ - شرح المعلقات السبع - ط الدار العالمية – بيروت - (١٩٩٣) م.

- ٢١- (السبكي) بهاء الدين أحمد بن عبد الكافي ت (٧٧٣)هـ -عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح - ط دار الكتب العلمية - بيروت - بدون تاريخ .

- ٢٢- (السكاكي) أبو يعقوب يوسف بن مُحَمَّد ت (٦٢٦) هـ -مفتاح العلوم - ط مطبعة الرسالة - بغداد – ط أولى – (١٤٠٢) (١٩٨٢)م – تحقيق أكرم عثمان يوسف.

- ٢٣- (الشهاب الخفاجي) شهاب الدين أحمد بن مُحَمَّد الخفاجي ت (١٠٦٩) هـ - حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي، ط دار إحياء التراث العربي .

- ٢٤- (شيخ زادة) مُحَمَّد بن مصلح القوجوي ت (٩٥١)هـ - حاشية شيخ زادة على البيضاوي - تحقيق الأستاذ / مُحَمَّد عبد القادر شاهين -ط دار الكتب العلمية – ط أولى – (١٤١٩)هـ(١٩٩٩)م.

- ٢٥- (الصعيدي) عبد المتعال- بغية الإيضاح -ط مكتبة الآداب - القاهرة -(١٤١٧) هـ (١٩٩٧).

- ٢٦- (طبانة) بدوي - معجم البلاغة العربية - ط دار المنارة للنشر والتوزيع – ط ثالثة - جدة - (١٤٠٨) هـ (١٩٨٨) م .

- ٢٧- (الطيبي) شرف الدين الحسين بن مُحَمَّد - شرح الطيبي على المشكاة ، الكاشف عن حقائق السنن – تحقيق الدكتور/ عبد الحميد هنداوي – ط مكتبة نزار – مكة المكرمة – ط أولى – (١٤١٧)هـ(١٩٩٧)م.

- ٢٨- (ابن عاشور) مُحَمَّد الطاهر ت (١٣٩٤)هـ -تفسير التحرير والتنوير - ط الدار التونسية للنشر (١٩٨٤)م.

- ٢٩- (عباس) فضل حسن - البلاغة فنونها وأفنانها – علم المعاني - ط دار الفرقان للنشر والتوزيع - الأردن -ط رابعة - (١٤١٧)هـ(١٩٩٧)م.

- البلاغة فنونها وأفنانها -علم البيان - ط دار الفرقان للنشر والتوزيع - الأردن - ط عاشرة - (٢٠٠٥) م.

- ٣٠- (العباسي) عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد ت (٩٦٣) هـ - معاهد التنصيص على شواهد التلخيص - ط المطبعة البهية (١٣١٦)هـ.

- ٣١- (أبو العتاهية) إسماعيل بن سويد بن كيسان ت (٢١٠)هـ -ديوان أبي العتاهية - ط دار بيروت للطباعة والنشر -(١٤٠٦) هـ (١٩٨٦)م.

- ٣٢ - (عرفة) عبد العزيز - من بلاغة النظم العربي - دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني - ط علام الكتب - ط ثانية - (١٤٠٥)هـ(١٩٨٤)م.

- ٣٣- (العسكري) أبوهلال الحسن بن سهل ت (٣٩٥) هـ -الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق الأستاذين / علي البجاوي ، ومُحَمَّد أبي الفضل - ط دار إحياء الكتب العربية - ط أولى -(١٣٧١) هـ (١٩٥٢) م.

- ٣٤- (العكبري) أبو البقاء - شرح ديوان المتنبي – التبيان في شرح الديوان – تحقيق الأستاذ/ مصطفى السقا ، وإبراهيم الأبياري ، وعبد الحفيظ شلبي - ط دار المعرفة ، بيروت.

- ٣٥- (العلوي) يحيى بن حمزة ، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، ط مطبعة المقتطف ، مصر (١٩١٤)م.

- ٣٦- (علام) عبد الواحد - البديع المصطلح والقيمة - ط مكتبة الشباب – الإسكندرية -(١٩٩٢)م .

- ٣٧- (عيد) رجاء -فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور - ط مكتبة المعارف - الإسكندرية - ط ثانية .

- ٣٨- (عيد) فوزي السيد عبد ربه - الفنون البديعية في دائرة البحث البلاغي - طبعة مطبعة الحسين الإسلامية -القاهرة -(١٤٠٨)هـ(١٩٨٨)م.

- ٣٩- (فيود) بسيوني - علم البيان – دراسة تحليلية لمسائل البيان -ط مؤسسة المختار - الأحساء - القاهرة -ط ثالثة - (١٤١٨)هـ(١٩٩٨) م .

- ٤٠- (ابن قرقماس) ناصر الدين مُحَمَّد ت (٨٨٢)هـ - زهر الربيع في شواهد البديع – تحقيق الدكتور/ محمدي أسعد عرار - ط دار الكتب العلمية - بيروت ، ط أولى -(١٤٢٨)(٢٠٠٧)م.

- ٤١- (قطب) سيد - الأعمال الشعرية الكاملة - ط مركز الناقد الثقافي - دمشق - ط أولى (٢٠٠٨)م.

- ٤٢- (القونوي) عصام الدين مُحَمَّد بن إسماعيل الحنفي ت (١١٩٥)هـ -حاشية القونوي على تفسير البيضاوي - تحقيق الأستاذ / عبد الله مُحَمَّد محمود عمر - ط دار الكتب العلمية ، بيروت - ط أولى - (١٤٢٢)هـ (٢٠٠١)م.

- ٤٣- (القيرواني) أبو علي الحسن بن رشيق ت (٤٥٦) هـ -العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده - تحقيق الشيخ / مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد – ط دار الجيل – ط خامسة – (١٤٠١) هـ (١٩٨١) م.
- ٤٤- (لاشين) عبد الفتاح - البديع في ضوء أساليب القرآن -ط دار الفكر العربي (١٩٩٩)م
- ٤٥- (المرزوقي) أبو علي أحمد بن الحسن - شرح ديوان الحماسة– تحقيق الأستاذ / أحمد أمين ، والأستاذ / عبد السلام هارون - دار الجيل -بيروت ، ط أولى (١٤١١)هـ(١٩٩١)م.
- ٤٦- (المغربى) أبو يعقوب ت (١١١٠)هـ - مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح - ط دار الكتب العلمية- بيروت- (١٤١٠)هـ(١٩٩٠)م.
- ٤٧- (ابن منظور) جمال الدين مُحَمَّد ت (٧١١) هـ - لسان العرب - ط دار المعارف -بدون تاريخ.
- ٤٨- (أبو موسى) مُحَمَّد - خصائص التراكيب – ط مكتبة وهبة – ط رابعة -(١٤١٦)هـ(١٩٩٦)م.
- دلالات التراكيب - ط مكتبة وهبة – القاهرة - ط ثانية (١٤٠٨) هـ (١٩٨٧) م.
- ٤٩- (اليسوعي) الأب لويس شيخو - شعراء النصرانية - ط مطبعة الآباء المرسلين - بيروت (١٨٩١)م..

Search communication speaker in the Arab summary statement rhetorical

analytic study

Abstract

This research tends to reveal aspect of our language of Arab side of a speaker,

He wants to make it clear that Arab rhetoric eloquent speaker, The keen research on this side of rooting through the transfer of adult's talk about the eloquence of the speaker in places where that came, Find Direction as to matters of rhetoric and arts prove that the speaker in the Arab rhetoric has aims of his statement to talk about himself and what is going on in the chest, And the picture condition to be away from the speaker to speaker her his goal, The research question and read the rhetoric arts, And he cited some examples and texts that attest to this purpose, Taking care to observe the novelty and contemporary in the selection of some of the evidence .

We have analyzed the evidence analysis of selected literary quote the words of adults – if any ,Was also keen on documenting his quotations, And the percentage of words to work with the owners researcher in the selection of texts and analyze technical analysis reveals it is secrets and the eloquence of the speaker in each of the positions.

Key words: : Speaker , Rhetoric , Albulageyen , Controlled , Analysis and Applicat